
أصول الفكر
الاتصالي الإسلامي
د. عوض إبراهيم عوض

أصول الفكر الاتصالي الإسلامي

أصول الفكر الاتصالي الإسلامي
2009م

د. عوض إبراهيم عوض
أصول الفكر الاتصالي الإسلامي
180 ص؛ 17×25 سم

يناير 2009م

دار الفكر – دمشق – البرامكة

أصول الفكر الاتصالي الإسلامي

◆◆◆

د. عوض إبراهيم عوض

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ
شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ
لأَنفُسِهِمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً وَلا يَمْلِكُونَ
مَوْتاً وَلا حَـيَاةً وَلا نُشُوراً.

الفرقان: 3/25

صدَقَ اللهُ العظيم

﴿الفهرست﴾

* * *

الموضوع **صفحة**

إهداء

إلى كل طلبة العلم في وطننا الإسلامي الكبير وهم يكافحون من أجل تأصيل المعرفة وسبر أغوار الحقيقة. إلى كل الذين اتقوا وآمنوا وأحسنوا واللهُ يحب المحسنين. إلى الذين عركهم كبرياءُ الآخرين المسمى بالعولمة زوراً وبهتاناً أو ضللهم ما يُسمى بصراع الحضارات. إلى الذين أبت نفوسهم الأبية إلا أن يُثبِتُوا وجودهم في متاهات الحياة الحاضرة التي استأسدت فيه قوى الشر لتُطفئ نور اللهِ ويأبى اللهُ إلا أن يُتم نوره ولو كره الكافرون. إلى كل من كان في قلبه ذرةُ إيمان بأن هذا الكونَ لم يُخْلَقْ عَبَثاً وإنما لحكمةٍ كانَ بَعْضٌ منها أن نُدركَ ذاتَ اللهِ سبحانه وتعالى ونُجلها ونقدرها لأننا إليها راجعون. إلى كل هؤلاء وأولئك أهدي هذه السطور مع أسمَى تحياتي ودعائي بالخير.

د. عوض إبراهيم عوض

2008م

تقديم

الحمدُ للهِ مُبْدِعِ الأكوانِ، ومُجْرِي الأنهارِ، ورافِعِ السمواتِ بلا عَمَدٍ، وخالقِ السمعِ والأبصار للإنسان الذي صارَ بفَضْلِها أفضلَ الكائِناتِ. والحَمدُ للهِ الذي حبانا من فضله أساليب التواصل الذي أصبَحَ سِمَةً للإنسانِ يُثيبُه اللهُ عليه ويعاقِبُه إن قطعَ ما بينه وبين الآخرين. ومن عظمتِهِ أن جعل على رأس هذا التواصل تواصلنا مع الذات العلية ذاتِ الحق عزَّ وجل.

ثم من خلال حقيقة هذا الوجود العظيم وغايات إنشائنا ﴿**وجعلناكم شعوباً وقبائلَ لتعارفوا**﴾ خلق لنا كل أسباب الاتصال على أرقى مستوياتها من جهازٍ للنطق يتكون من الفم وما حواه والقفص الصدري وما حواه والخيشوم وما اتصلَ به كي تعمل جميعاً في تناسقٍ وتناغم بديع نصنعُ منه أصواتاً هي سر الجمال الأزلي في تفاهمنا وتعارفنا وتآلفنا مع بعضنا البعض.

ثم غرس داخل كلٍ منا عقلاً يُنظمُ الفكرة، ويبلور الرأيَ، ويُفصحُ عما في نفوسنا وقتما نريد. ومن خلاله نمت العلاقات بين الأفراد، وتطورت لتصبح علاقاتٍ بين الشعوب، ثم تواصلاً بين الأمم، ثم ترابطاً بين الأجيال المتعاقبة. وفي كل هذا لم يسعفنا إلا ما غرسه اللهُ سبحانه وتعالى فينا من فكرٍ ومَزاجٍ ورأيٍ وطموحٍ في الأفضل هُو معطياتُ الاتصال الإنساني .

ومن خلال ذلك أمكننا أن نصنع قنواتِ الاتصال التي حوت في ثناياها أسباب الحياه، وجعلتنا نتقرب لبعضنا حتى أصبح العالم أسرةً واحدةً مترابطة الأطراف بفضل الله ثم التطور البشري الذي انبنى على قنوات الاتصال. ولما كان

الأصل الحقيقي لكل هذا النماء هو اللهُ سبحانه وتعالى كان لا بد من رد الأمور إلى أصولها ومعرفة العلاقة الواشجة بين الذات العلية وذات الإنسان من خلال علم الاتصال. ومن هنا يجيء هذا الكتاب كمحاولة لتأصيل علم الاتصال.

وزوايا تأصيل هذا العلم متعددة ومتشعبة ولكن لا بد من محاولة سبر أغوارها كلٌ في مجاله. ونشكر للذين جعلوا من هذا الأمر مَنهجاً علمياً يُدَرَّسُ لطلبة المعرفة. ولما كان الأمر قد أصبح واقعاً من خلال منهجه ومحتواهُ الذي نما على وسائد التأصيل يجيء هذا الكتاب كقطرةٍ صغيرة في مُحيطٍ متلاطمِ الأمواج عله يُفيدُ المهتمين.

والشكر بعد الله لطلبتي بقسم ماجستير الإعلام بمعهد إسلام المعرفة الذين لولا جهدهم ومثابرتهم ومشاركتهم الفاعلة بالتمحيص والبحث والكتابة والسؤال والنقاش المستفيض لما برز هذا العمل. وأقول لهم إن هذه بضاعتكم رُدت إليكم علها تُصبحُ زاداً لمن يريد أن يلج في العالم الواسع عالم أصول الفكر الاتصالي الإسلامي. ولا يعدو هذا الكتابُ أن يكون مجرد خواطر لمن آمنوا بالله عشقاً للحقيقة من بين ضباب الجهالات الكثيفة التي عتمت ضلالاتُها سماء الكارهين لإتمامِ نور الله.

الفصل الأول

مفهوم الاتصال
في الإسلام

الفصل الأول

مفهوم الاتصال في الإسلام

❄❄❄❄❄

يرجع أصل كلمة اتصال Communication إلى الكلمة اللاتينية Communi وتعني مشترك أو عام التي تقابلها في الإنجليزية كلمة Common، وبالتالي فإن الاتصال كعملية يتضمن المشاركة أو التفاهم حول شئ أو فكرة أو إحساس أو إتجاه أو سلوك أو فعلٍ ما. وهو بذلك يصبح واحداً من الأنشطة الإنسانية الموغلة في قدمها.

وهو لايعني مجرد توجيه رسالة من طرف إلى آخر فيما يعرف بالبث أو النشر أو الإرسال من جانب واحد، وإنما يستدعي أن يتلقى الطرف الأول رد فعل عَاجِل أو آجل على رسالته، وأن تستمر الردود مع استمرار توجيه الرسائل من المرسل، فإذا انقطعت الردود أصبحت الرسائل بثاً أحادي الاتجاه [1].

والقرآن الكريم أخبر عن الله تعالي برسالة اتصالية مصدرها الحق، وهي وسيلة الوحي السماوي الذي يمثل فيه الرسول ﷺ دور المستقبل. والهدف هو دعوة الناس جميعاً إلى ما ارتضاه الله للإنسانية. وبما أن هناك منكرين لهذا الوجود الإلهي فقد أخبر القرآن عن الله تعالى ببراهين عديدة كانت مدعاةً لأن يعود المنكرون إلى صوابهم بعد أن سيطرت على عقولهم فكرة الإنكار أو الشرك وزاغوا عن الصراط

---

[1] عماد حسن مكاوي وليلى حسين السيد، (2002م)، الاتصال ونظرياته المعاصرة، الدار المصرية، ص 17.

المستقيم. وجعل بعضهم لأنفسهم آلهةً يعبدونهم من دون الله اعتبرهم الإسلام شركاء لا وزن لهم. والذريعة التي زينت هذا العبث أن تلك الآلهة تقوم بدور الوسطاء والشفعاء عند الإله الكبير، فلا ارتباط به إلا عن طريقهم! وجاء القرآن فأوضح بطلان هذه العادة وأثبت أن هذه الآلهة المزعومة أسماء على غير مسميات، وأنَّ ذبابة حقيرة يمكنها أن تقهر هذه الآلهة المنتحلة، وبالتالي فإن الاستناد عليها هو استنادٌ على فراغ، وقد جاء في ذلك قوله تعالى: ﴿**وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً**﴾ [2].

والغريب أن بعض الأمم تعلقت بهذه الآلهة المكذوبة أكثر من تعلقها بالخالق جلَّ وعلا. وجعلوا لها نصيب الأسد من عبادتهم ويتقربون به من قرابين حتى ذمهم القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿**فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِلّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ**﴾ [3].

والإشراك شائع إلى يومنا هذا في كل أرجاء الدنيا، وهو يحتاج إلى إمعان النظر بغرض إعادة الناس إلى جادة الطريق. فإذا أخذنا شخصية بوذا فيلسوف الفكر القديم نجد أن فكره قد نبع من الأرض ولم يثبت عنه أنه وحي من السماء، وقد عده أتباعه إلها فمهدوا لأنفسهم سبل الضلال التي ما تزال تعمي بصيرتهم عن اتباع الحق. وقد أعلن الإسلام حرباً شعواء على كل الضلالات وحث العقل الإنساني لنبذها والصد عنها والكفر بها. ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ**

---

[2] قرآن كريم، سورة الفرقان، آية 3.

[3] قرآن كريم، سورة الأنعام، آية 13.

أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ اِئْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ*وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ [4].

لقد اتخذ بعض الناس قديماً آلهةً معروفة ناقصة ومشوهة عبدوها من دون الله الواحد الأحد رغمَ أنها من صنع أيديهم، وتعصبوا لها أيما تعصب. وعندما جاء الرسل يفردون الله بالعبودية، ويخاصمون الاتجاه إلى الوثنية حوربوا حرباً شعواء وصفها القرآن في حديثه عن قوم هود إذ قال: **﴿قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾** [5].

حتى إذا جاء نبينا محمدٌ ﷺ وأمرهم بعبادة الله الواحد الأحد وأل يُشركوا به شيئاً واجهوه باندهاشٍ صوره الله ﷻ بقوله: **﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَـذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾** [6]. وهذا القول أجعل الآلهة إلها واحداً صدر منهم عندما قال لهم النبي ﷺ قولوا لا إله إلا الله، فواجهوه بسؤالهم كيف يسع الخلق كلهم إلهٌ واحد إن هذا لشيءٌ عُجَابٌ أي عجيب.

وهكذا فعلت سائر الأمم مع أنبيائها، حيث إن بعضهم إلى جانب شركه بالله أنكر حقيقة الألوهية من أساسها ولسان حالهم يقول: **﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾** [7]. وكان حديث القرآن الكريم عن

---

[4] قرآن كريم، سورة الأحقاف، آية 4،5.

[5] قرآن كريم، سورة الأعراف، آية 70.

[6] قرآن كريم، سورة ص، آية 5.

[7] قرآن كريم، سورة المؤمنون، آية 38.

هؤلاء وأولئك وإخباره عنهم قد تجلى في أمرين، أولهما: فقر العالم إلى الله وقيامه به، واستمداده لوجوده منه، أي استحالة أن يتخلق بغير خالق. وثانيهما: أن الخالق المدبر واحدٌ لاشريك له وليس له ند أو ضد ﴿**لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى**﴾[8]. واللهُ ﷻ أسمى وأجل من أن يجعل وجوده ترضية تحتمل القيل والقال، ولذلك جاء قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [9].

أما من حيث التعريف الاصطلاحي للإعلام فإنَّ من يتتبع جهود الباحثين في هذا الأمر يدرك مبلغ معاناتهم في وضع تعريف جامع مانع له. ويكاد يكون من المتعذر تطابق تعريفاتهم وإن كان للتقارب سمة غالبة عليها. وهذا فيما يبدو أمر تفرضه طبيعة هذا العلم الحديث [10].

ويقول ريمورية: «**إن كلمة الإعلام بمعناها الذائع تستلزم حتماً توفر عنصر شعور وحس بل إن هذا العنصر يبدو أمراً أساسياً، فنحن نسعى إلى إجادة علمنا بالحياة السياسية وبتقدم التقنية ابتغاءً للمعرفة**».

والإعلام وفقاً لهذا المعنى هو نقل دلالة أو مفهوم إلى كائن واعي بتوسط رسالة إصلاحية إلى حد كبير أو صغير ويتوسط حامل مكاني- زماني مطبوعة، رسالة هاتفية، موجة صوتية، صورة متحركة الخ.. وإن إدراك المعنى هو الهدف، أما

---

[8] قرآن كريم، سورة طه، آية 6.

[9] قرآن كريم، سورة غافر، آية 56.

[10] عبد العزيز شرف، المدخل إلى وسائل الإعلام، مرجع سابق، ص 71.

نقل الحامل فهو الوسيلة. ونحن قد نحتاج إلى الإعلام من أجل عرض نقيض، وعندئذ يُصبح الإعلامُ بكلِ أدواتِهِ وسيلةً، في حين يُعَدُ العمل الذي يطلقه أو يتحكم فيه هو الهدف.

أما أوتجروت الألماني [11] فقد عرَّف الإعلام بقوله: «**الإعلام هو التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها في نفس الوقت**». بينما يقول إبراهيم إمام: «**إن الإعلام هو تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعةٍ من الوقائع أو مشكلةٍ من المشكلات، بحيث يعبر هذا الرأي تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهيير واتجاهاتها وميولها**». [12]

إذن فالإعلام على هذا الأساس هو تقديم الحقائق المجردة سواء اكانت سارة للمتلقي أم محزنةً له. وهذا الارتباط بالحقيقة هو اهم ما يميز الإعلام عن غيره من أشكال الاتصال.

ويقدم الشيخ زين العابدين الركابي [13] تعريفاً آخر للإعلام يقول فيه: «**الإعلام إنما هو علم الاتصال والتحكم، وهو بالتالي وسيلة التعبير والتوجيه والصعود بالناس إلى أعلي أو الهبوط بهم إلى القاع**». وهو يشير في شرح هذا التعريف إلى أنه بث المعلومات وتلقيها واستخدامها في تغيير مجرى التفكير ودفع الاتجاه إلى وجهة مقصودة أي حمل المستقبِل على السلوك سلوكاً مرغوباً فيه. وقال

---

[11] هذا التعريف يحظى باحترام من قبل الدراسين الإعلاميين وهو موجود في معظم كتب الإعلام.

[12] إبراهيم إمام، (1986م)، الإعلام السياسي، الدار المصرية، ص95.

[13] زين العابدين الركابي، (1992م)، الإعلام السياسي والعلاقات العامة بين النظرية والتطبيق، ص295.

الدكتور زيدان عبد الباقي: «**إن الإعلام هو جملة الأساليب التي يلجأ إليها الإنسان للتعامل مع غيره من الناس بغرض التأثير فيهم**». ومن خلال ما سبق يمكننا أن نلاحظ أن تعريف الإعلام لا بد أن يتضمن المضمون والوسائل حتى يكون أقرب إلى الشمول بمعنى أن يشمل الإعلام بالقول والإعلام بالفعل. ذلك لأن كلمة أساليب تشمل الأمرين معاً، فضلاً عن أنَّ لكلٍ منهما خصائصه ومميزاته. حيث إنَّ من الإشارات البدنية التي هي أعمال بالأعضاء ما يقوم مقام الإعلام بالقول من حيث الإعلام بقصد الفاعل فهي تدل دلالة ضرورية يعرفها المتلقي من قصد الدال كما يدل القول، وقد تكون أقوى من دلالة القول ولكنَّ دلالة القول أعم وأوسع بحكم أنه يعبر عن الأمور الغائبة والأمور المفصلة.

وهذه الأدلة العينية هي أقوى من حيث الدلالة، إلا أنه ليس فيها من سعة المعاني الكثيرة ما في الأقوال. ومن هذا القبيل نجد معجزات الرسل عليهم السلام حيث إنها في مجملها أفعالٌ خارقة للعادة يمد الله ﷻ بها رسله تصديقاً لهم في أمر الدعوة. وإرسال العلامة بالطبع يعني إعلاماً من الله ﷻ للناس بأنه قد أرسل إليهم هذا الرسول. فمثل هذا الفعل هو مثل القول الذي يجري مجرى الإعلام والإخبار للناس بأنه أرسله لهم بغرض تصديقه في كل ما يقول.

والأخبار تكون تارةً بالقول وتارة بالعمل كما يُعْلِمُ الإنسانُ غيرَه بالحديث المباشر أو بالإشارة بيده أو برأسه أو بعينه وغير ذلك من وسائل نقل المعلومة. ومن ناحيةٍ أخرى أشار بعض علماء الاتصال المسلمين ومنهم الدكتور عبد العزيز شرف في كتابه (**المدخل إلى وسائل الإعلام**) إلى أن مفهوم الاتصال هو المفهوم الذي يذهب إليه مصطلح البيان الذي ورد في اللغة العربية. وهو المصطلح الذي وردت

الإشارة إليه في القرآن الكريم في سورة الرحمن حيث قال تعالى: ﴿**خلق الإنسان، علمه البيان**﴾ [14]. وعبارة علمه البيان قال المفسرون إنما تعني علمه النطق. وفي سورة آل عمران يقول تعالى: ﴿**هذا بيانٌ للناس وهدىً ومَوعظةٌ للمتقين**﴾ [15]. بمعنى أن هذا القرآن هو بيان للناس كلهم وهدىً من الضلالة، وموعظةٌ للمتقين منهم. وعليه فإن البيان في المفهوم الاتصالي هو الإفصاح وحُسنُ الفهم وذكاءُ القلب، وأصله الكشف والظهور.

غايات العمل الاتصالي في الإسلام

يقولُ اللهُ تباركَ وتعالى في محكم تنزيله: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [16]. بمعنى يا أيها الناس إنا خلقناكم من آدم وحواء، وجعلناكم شعوباً وهي جمع شعب أي أعلى طبقات النسب وقبائل وهي دون الشعوب، وبعدها العمائر ثم البطون ثم الأفخاذ ثم الفصائل آخرها مثاله خزيمة شعب، كنانة قبيلة، قريش عِمارة، قصي بطن، هاشم فخذ، العباس فصيلة.

والغرض من هذا أن تتعارفوا أو يعرف بعضكم بعضاً ولا تتفاخروا بعلو النسب وإنما تتفاخروا بالتقوى إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم بكم وخبير ببواطنكم. ومن خلال هذا ندرك أن الإنسان بفطرته كائنٌ اجتماعي، وقد ظلَّ منذ

---

[14] قرآن كريم، سورة الرحمن، آية 4.

[15] قرآن كريم، سورة آل عمران، آية 138.

[16] قرآن كريم، سورة الحجرات، آية 13.

بداية خلقه ينزع إلى الاتصال بمن حوله بغرض هذا التعارف الذي دعت إليه تلبية الحاجات الفطرية لدى البشر من طلبات ورغبات ومحاولات للتعرف على ما حوله وما إلى ذلك. وقد غرس الله سبحانه وتعالى فيه حب المعرفة وحب التواصل وحب البقاء. وكل هذه الغرائز تحتاج إلى التواصل. ولذلك خلق معه أدوات التواصل وعلى رأسها جهاز النطق المكون من الفم بكل مكوناته من لسان وشفتين وأسنان ولثة وحنك ثم البلعوم والرئتين وكل الأعضاء التي تسهم في التنفس وصنع الكلام. وقد استخدمها الإنسان في شتى المجالات وعلى رأسها التواصل والتعلم واكتساب المعرفة بشكل أو بآخر.

ولعل من الأمور المهمة في هذا السياق الوقوف على بعض الجدل الذي أثاره البعض في مسألة التفريق بين الإعلام والاتصال من الزاوية المهنية. حيث درج الكثير من الناس على الخلط بين مفهوم الاتصال Communication ومفهوم الإعلام Information. فعبارة الإعلام التي نستخدمها كثيراً في حياتنا اليومية تختلف في مدلولها عن مفهوم الاتصال الذي هو أوسع في المفهوم الغربي الذي اعتبر الإعلام واحداً من وظائف الاتصال.

وعبارة الاتصال لها مدلولان في المفهوم الغربي أولهما وهو الذي يرمز له بكلمة Communication وهو يعني نقل محتوى فكرة من شخص أو جماعة إلى شخص آخر أو جماعة أخرى. أما عندما نستخدم كلمة اتصال الإنجليزية بإضافة حرف S في نهايتها Communications فإنها تشمل وسائل الاتصالات المختلفة بما فيها المواصلات التي تدخل فيها قضبان السكة الحديد والطرق المعبدة وغيرها كالجداول التي يحفرها الإنسان والقنوات الأرضية المختلفة الخ.. ولكن هذا المفهوم

المشار إليه لا يدخل في دراسة علم الاتصال الذي نحن بصدده، لأنَّ الذي يعنينا في الدراسة هو المفهوم الأول للاتصال البشري الذي يتم بين فرد وآخر أو فرد ومجموعة أفراد والذي هو مناط العملية التي نسميها عموماً بنقل الرسالة الإعلامية. وقد انتقد كثير من علماء وأساتذة ودارسي علم الاتصال استخدام كلمة إعلام لتدل على الاتصال، ولكننا نرى عكس ما ذهبوا إليه وذلك في رأينا أن مصطلحي إعلام Information واتصال Communication في اللغة الإنجليزية هما سبب الإشكال بحكم المعنى الضيق لكلمة إعلام Information في اللغة الإنجليزية الذي لا يتجاوز مضمون الإخبار عن الشيء.

أما مدلولها في اللغة العربية فهو أوسع من ذلك بكثير حيث يشمل الإخبار والاتصال بالآخرين من أجل نقل المعلومات والمعرفة إليهم. وقد توسع هذا المفهوم في اللغة العربية ليشمل الخدمة الاتصالية برمتها متضمناً الرسالة وعناصرها المختلفة من مرسل ومتلقي ووسيلة وتشويش ورد فعل.

وقد رسخ هذا المفهوم في ذهن متحدث اللغة العربية بشكل قاطع لا يثير أي تناقض مع مدلول الاتصال الذي جاءت به اللغة الإنجليزية. ولذلك فإننا نرى أنَّ استخدام عبارة إعلام لتعطي معنى الاتصال هو عين الحقيقة وهو استخدام صحيح لا خطأ فيه. ولا بد للمتجادلين في هذا المصطلح أن يراعوا طبيعة اللغة العربية التي هي أوسع بكثير وأثرى في مفرداتها ومعانيها.

أما إذا كان الحديث عن المدلول في اللغة الإنجليزية فإننا نرى ما رآه الآخرون لاسيما ما ذهب إليه الكتاب الأمريكيون جون فيفيان وشيرلي بياجي ومن قبلهم علماء الاتصال هارولد لاسويل وولبر شرام. حيث إنهم فرقوا بين

مفهومي الاتصال والإعلام مشيرين إلى وظائف الاتصال التي تضع مفهوماً محدوداً جداً للإعلام الذي لا يعدو أن يكون واحداً من هذه الوظائف، وهي: 1. الإعلام Information، 2. التعليم Education، 3. الترفيه Entertainment، 4. الإقناع والترغيب Persuasion، 5. الرصد والمراقبة Surveillance. وخلال مسيرته الطويلة من أجل البقاء استخدم الإنسان شتى الأساليب من أجل أن يتعامل مع غيره من البشر والمخلوقات التي من حوله.

إشارات الإسلام للغة كأداة اتصال

خلال مسيرته الطويلة في الحياة احتاج الإنسانُ أن يُطور أساليب اتصاله بمن حوله ليصل إلى مراده. واللغة بالطبع هي من أساليب الاتصال الأولى التي لجأ إليها الإنسان قبل أن يستخدم أدوات مثل الدخان والطبول والصيحات إلى أن وصل إلى مرحلة رواية الأخبار الشفاهية.

وبالطبع فإن اللغة كانت وسيطاً مهما للإنسان كي يصف ما حوله من أشياء وكائنات ومعطيات تفرض نفسها عليه. واللغة في تعريفها البسيط هي مجموعة من الرموز الشفوية التي يتكلم بها الناس على تباين جنسياتهم. لذلك كانت الوسيط للتخاطب بينهم ونقل المعلومات. ولكل أمة لغتها الخاصة لذلك لا يتم الاتصال بين هذه الأمم إلا إذا درست كل أمة لغة الأخرى وعرفت فك رموزها ومدلولاتها. ولعل اللغة هي أهم وسيلة للاتصال البشري صنعها الإنسان طوال مسيرته الحياتية. وقد يندهش البعض لعبارة صنعها الإنسان ونحن نعلم أن الذي

خلق اللغات وعلمها للإنسان هو الله سبحانه وتعالى. لتوضيح هذا الأمر لا بد من العودة لسنوات البداية التي نشأ فيها الإنسان. حيث كان آدم عليه السلام هو أب البشرية التي جاءت من تزاوجه مع أمنا حواء. ومن صلبه جاءت كل الأنماط البشرية (**كلكم لآدم وآدم من تراب**)، وقال تعالى في سورة النساء: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**﴾ [17].

ولما كان التواصل في شكله البسيط يتم بين فرد وآخر لنقل معلومة أو استفسار فإن هذا الأمر يحتاج لحصيلة لغوية تسهم في إكمال هذه العملية. ولذلك عندما خلق الله الإنسان خلقه قادراً على صنع الكلام بمفرداته ومعانيه، وقال في محكم تنزيله: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ**﴾ [18].

ومعنى علم آدم الأسماء أي أسماء المسميات كلها بأن ألقى في قلبه علمها، ثم عرض هذه المسميات على الملائكة فقال لهم على سبيل التبكيت أنبئوني أي أخبروني بأسماء هؤلاء المسميات إن كنتم صادقين في أني لا أخلق أعلم منكم أو

[17] قرآن كريم، سورة النساء، آية 1.

[18] قرآن كريم، سورة البقرة، آيات 31، 32، 33.

أنكم أحق بالخلافة، وجواب الشرط دلَّ عليه ما قبله. لقد انتشر الناس في بداية أمرهم في بقاع مختلفة من الغابات والسهول والوديان ومجاري الأنهار التي كانت هي المكونات الطبيعية البسيطة لكل البقاع حيث لا عمارات ولا شوارع ولا تقنيات ولا قرى ولا مدن.

وكانت حاجة الإنسان البسيط لا تتعدى الأكل والشرب والاستئناس بظل يضطج تحته ومكان آمن يأوي إليه من خطر الحيوانات الداهمة والطبيعة المتوحشة. ووجد الناس أنفسهم متفرقين في أماكن اختارها كل حسب مزاجه وحسب حاجته. ولذلك نبعت الحاجة لتسمية الأشياء التي حولهم، وظهرت تلقائياً المفردات التي ظهرت بشكل أقرب إلى العشوائية لتمييز الأشياء التي حولهم وفق ما يرونه مناسباً ووفق ما تجود به ملكاتهم التعبيرية من كلمات. وشيئاً فشيئاً كونت هذه الكلمات حصيلة لا بأس بها فأصبحت لغةً لهذه المجموعة.

وقطعاً فإن مفردات هذه اللغة لا تتعدى الأشياء التي حولهم. وإذا علمنا أن كل مجموعة قد عاشت بمعزل عن المجموعة الأخرى في مكان مختلف وربما ظروف مختلفة فإنها ستخلق لغة أخرى بنفس الطريقة. وشيئاً فشيئاً كثرت اللغات باختلاف المجموعات البشرية مهما قل عدد أفرادها أو كثر. ولهذا فإن اللغة أصبحت هي العامل الأساسي والأهم في عملية الاتصال البشري بحكم ما تحمله من معانٍ ومدلولات.

إذن فاللغة بهذا المفهوم تُعتبرُ صنيعةً بشرية أسهمت فيها أدوات النطق والتفكير التي غرسها الخالق سبحانه وتعالى في الإنسان لتساعده على التواصل.

وبذلك فإن كل إنسان في هذه الدنيا له قابلية أن يتعلم أي لغة من لغات البشر بحكم أن جهازه النطقي قد خلق بهذه القابلية ولكن كلما تعرض الإنسان للغة بعينها ونظام صوتي بعينه فإنه سيتأقلم على هذا النظام وتضعف قابليته للتكيف مع أصوات اللغات الأخرى التي لم يتعرض لها. وبمرور الزمن طور البشر حصيلة مفرداتهم في كل لغة من اللغات التي استخدموها وذلك بإضافة المسميات لما يطرأ على مداركهم من أشياء وسلوك ومستجدات. حتى أن كل لغة من اللغات الإنسانية أصبحت كافية بمتطلبات أفرادها كافةً.

غايات الاتصال في الإسلام

إن الله ﷻ عندما خلق الإنسان وضع له غاية هذا الخلق وهي أن يكون عبداً له، وفي ذلك يستوي الإنسانُ والجان حيث جاء قوله تعالى واضحاً صريحاً من غاية الخلق: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [19]. وهذه الغاية لا تنافي عدم عبادة الكافرين لله ﷻ لأن الغاية لا يلزم وجودها لدى الكُل رغم أنها هي الهدف الأساسي من خلق الإنسان، ولكنَّ الكافرين لم يمتثلوا لهذا الأمر.

ثم إنَّ غرض خلق البشر في مجموعات متباينة سميت بالشعوب والقبائل هو أن يتم التعارف بينهم. حيث برز ذلك جلياً في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [20]. وهذه الإشارة تؤكد وحدانية أصل الإنسان. ولعل

---

[19] قرآن كريم، سورة الذاريات آية 56.

[20] قرآن كريم، سورة الحجرات، آية 13.

هذه الوحدانية تتضح من خلال أمورٍ كثيرة يُغفلها الناسُ في حركة حياتهم اليومية، حيث إننا إذا راغبنا تصرفات الشعوب على اختلاف سحناتها ولغاتها وبيئاتها نجد كثيراً من نقاط الاتفاق والتشابه بينها. ومن ذلك أن كل طفلٍ في الدنيا يتصرف بنفس طريقة الأطفال الآخرين في كل بقاع الأرض في طريقة الرضاعة وأسلوب البكاء والتعبير عن حاجياته، لا فرق هنا بين الطفل الأمريكي والطفل الهندي أو الأفريقي أو العربي أو الأوربي. وهم يرسمون بنفس الطريقة.

والناسُ سواسية في مثيرات الحزن والفرح والألم لا فرق بين أبيضهم وأسودهم مهما تباينت طرق معيشتهم. وقد ثبت أن الشعور بالجوع لدى كل البشر هو نفس الشعور دون اختلاف فيما بينهم، وهكذا. ولا غرو أن الله ﷻ عليمٌ ببواطن الناس لأنه هو الذي خلقهم. وبذلك خُلِقَ الإنسان بفطرته كائناً اجتماعياً، وظلَّ منذ بداية خلقه ينزع إلى الاتصال بمن حوله بغرض تأكيد هذا التعارف الذي دعت إليه تلبية الحاجات الفطرية لدى البشر.

وهذه الحاجات تتفاوت من فردٍ لآخر ومن مجتمعٍ لآخر ومن ظرفٍ لآخر. إلا أنها في مجملها تتمثل في محاولة الإنسان إدراك ما حوله من المحسوسات والمعنويات، وتلبية رغباته الفطرية. وهذه لا تتأتى إلا من خلال ما يبذله في سبيل التعلم واستقصاء المعلومات والأخبار، ولحاق ما فاته من أدوات المعرفة بأشكالها المختلفة. وقد غرس الله ﷻ في نفس الإنسان غرساً لازمه على مرِّ الأجيال يتمثل في حب المعرفة وحب التواصل وحب البقاء وحب السلامة، وهذه غرائز تحتاج في مجملها إلى التواصل والتفاعل.

أساليب الاتصال البشري وأدواته

جاء على رأس أساليب التواصل الأولى لدى الإنسان جهاز النطق الذي وهبه الله ﷻ بفضله لكل إنسان، وهو يتكون من تسعة أجزاء هي: 1/ اللسان، 2/ الشفتان، 3/ الأسنان، 4/ الحلق، 5/ الحنك، 6/ البلعوم، 7/ التجويف الصدري، 8/ الخيشوم، 9/ الرئتان. وكل هذه الأعضاء تسهم في صنع الكلام والتنفس الذي لولاه ما خرج الحديث من فمٍ أحد.

وقد وظف الإنسانُ كل هذه الأدوات المتناغمة المنسجمة والمرتبة ترتيباً إلهياً بديعاً في صنع الكلام الذي ظل على طول تاريخ البشرية هو عنصر الاتصال الأكبر والأسمى والأرقى بين بني الإنسان قاطبةً. ثم إنه كان أداة التعلم الأولى وأداة التعامل مع الآخرين في قضاء الحوائج من بيع وشراء وتفاوض وجدالٍ وتعامل في شتى ضروب الحياة بلا استثناء. ومن خلال ذلك استطاع الإنسان أن يكتسب قسطاً وافراً من المعرفة تطور عبر السنوات وشاع بين الخلق أجمعين.

وخلال مسيرته الطويلة من أجل البقاء استخدم الإنسان شتى الأساليب والأنماط والعناصر المصاحبة للكلام من أجل أن يتعامل مع غيره من البشر والمخلوقات والطبيعة التي حوله. حيثُ احتاج طوال هذه المسيرة أن يطور أساليبَ عديدة للاتصال بمن حوله حتى يطمئن إلى الآخرين ويصل إلى ما يريد. و

من خلال ذلك طوّر الأساليب الأولى للاتصال إلى أن وصل إلى مرحلة رواية الأخبار الشفاهية والركض بين أزقة المدن والحواري ليوصل المعلومة التي لعبت دور الإعلان عن وصول البواخر الحاملة للسلع وغيرها من الأخبار. وإذا تتبعنا وسائل الاتصال البشري عبر التاريخ نجد أن واحدة من أولى الخطوات في بحث

الإنسان عما يوصله بالآخرين كانت النار والدخان التي أسهمت بدورٍ فاعلٍ في هذا المضمار رغماً عن بدائية استخدامها. حيث إن الإنسان عندما أدرك قيمة ارتفاع الدخان في السماء مما يمكنه من استخدامه كرمز لحدث معين مثل تنبيه البعيدين لخطر حيوانات مفترسة تتجه نحوهم أو طلب النجدة من شخصٍ يشعرُ بالخطر في بعض الظروف.

وقد يعني استخدام الدخان الدعوة إلى وليمة أو إخطار الآخرين بشيء معين تعارف الناس عليه. معنى ذلك أن الدخان يمكن أن يستخدم كوسيلة عاجلة وواضحة لأي غرض يتفق عليه الناس في تلك المجتمعات البدائية. كما كان الصوت البشري واحداً من الأدوات الفاعلة التي لجأ إليها الإنسان في مراحل بداياته الأولى لكي تكون وسيلةً من وسائل الاتصال بينه وبين الآخرين من حولهِ.

ولما كانت الصرخات التي يحدثها الإنسان ذات ذبذبات عالية يمكن سماعها من مسافات بعيدة فقد استخدمها الإنسان لتنبيه الآخرين ممن يبعدون عنه وذلك عندما يحتاج إلى ذلك التنبيه. وكان أغلب استخدام الصرخات عندما يظهر حيوان مفترس أو يواجه الإنسان معضلة تحتاج إلى عون الآخرين. وهي بالطبع أسلوب فطري وطبيعي مثله مثل صراخ الطفل إذا انزلق أو سقط أو تعرض لأمر صعب فإنه يصرخ تلقائياً طلباً للعون والخلاص مما هو فيه.

وجاءت الطبول لتمثل عنصراً آخر من عناصر التنبيه والإعلام عن شيء معين. وقد ساعدت مثلها مثل الدخان في نقل الرسالة التي يتعارف عليها الناس وهم في معزل عن بعضهم البعض. وقد صنعوا تلك الطبول عندما شعروا بأن

الصرخات التي يحدثها الصوت البشري العادي قد لا تفي بالغرض لأنها لا تذهب أبعد من مدى الصوت العادي وهو مدىً قصير تحت كل الظروف. كانت الطبول بدائية هي الأخرى وقد صنعها الناس من المواد المتاحة لهم بشكل بسيط استخدموا فيه جلود الحيوانات.

وخلالَ مسيرةِ التطورِ هذه ظهر في بعض بقاع أوربا ما يسمى بالصائح وهو شخص يركض في شوارع المدن معلناً وصول البواخر التي تحمل البضائع لكي يأتي الناس لشرائها أو مقايضتها بما لديهم. وكان هذا السلوك أكثر تطوراً إذا قارناه بالأشكال الأولى للاتصال. وهو شبيه بما تفعله وسائل الاتصال الحديثة من إعلانٍ عن السلع ودعاية للمنتجات وغيرها.

بعد ذلك ظهرت أولى محاولات الإنسان للكتابة والتعبير عما في نفسه أو وصف أي كائن من الكائنات حيث لجأ إلى رسم بعض الرموز الدالة على الشيء كرسم طائر أو إنسان أو شجرة الخ.. وبذلك كانت الكتابة هي التعبير المصور لأشكال واقعية ثم تطور الشكل إلى أن وصل إلى رمز ثم أصبح الناس يسجلون أفكارهم بهذه الرموز التي اختصت كل أمة بنوع منها.

ومع تطور الحياة ظهرتْ رموزٌ علمية مختصرة لنظريات مطولة أو أسماء كما حدث في العلوم والرياضيات والجغرافيا والموسيقى وغيرها. كما أنَّ هناك رموزاً أصبحت مألوفة في كل أنحاء العالم مثل رموز الحركة وغيرها، حيث أغنت الناس عن استخدام اللغة. وبذلك لعبت الرموز دوراً هاماً في تبسيط العلوم وتسجيل الأشياء في حياتنا الحاضرة مثلما لعبته في الماضي حينما كانت هي الوسيلة الوحيدة لنقل

المعلومة. كانت تلك الرموز البدائية تُنحت على الحجارة. وأقدم ما وصل إلينا منها هو الرموز التي نحتها السومريون في بلاد ما بين النهرين (دجلة والفرات) على الحجارة فيما سُمي البكتوغراف Pictograph. وكان ذلك في حوالي عام 3500 ق.م. ويسمى أولئك النفر بالإنجليزية The Sumerians of Mesopotamia.

كانت تلك المحاولات الإنسانية قد استنبطت الرموز المرسومة التي تدل على المسميات مثل رسم دائرة وحولها خطوط خارجة من حول الدائرة لتعني الشمس، أو رسم أرنب صغير ليعني أرنب، أو خط رأسي صغير تعلوه دائرة ويتفرع منه خطان صغيران من أعلى وخطان صغيران من الأسفل ليعني إنسان وهكذا. ومن أمثلة هذا في زماننا الحاضر رسم جمجمة إنسان وعليها خطان متقاطعان باللون الأحمر لتعني خطر. أو رسم سيارة صغيرة وعليها خط قاطع بالأحمر ليعني أنَّ الطريق مقفول، أو رسم كف صغيرة تمسك بالقلم ليرمز إلى الكاتب أو مؤلف المقال وهكذا.

وكان السومريون ينقشون هذه الرموز على الحجارة باستخدام آلة حادة للحفر قد تكون هي الأخرى حجراً من نوع أصلب. ولم تكن هذه العملية ميسورة أبداً. حيث إنها تكلف وقتاً طويلاً في وضع الرسوم ثم حفرها على سطح الحجر. فضلاً عن الجهد الكبير الذي يبذله الإنسان في قطع الحجارة ونقلها من مكان إلى آخر ثم محاولة تسوية سطحها وتنعيمه ليتقبل النقش عليه. ولذلك فكر الناس بمرور الوقت في وجود بديل للحجارة. ولما كان الحفر على الحجارة أمراً صعباً ويحتاج إلى جهد كبير لجأ الناس إلى استخدام طين الصلصال Clay للنقش عليه ثم حفظ

المخطوطات بشكل بدائي. وكان هذا البديل الذي لجأ إليه القدماء ليحل محل الحجارة في حمل الرموز أيسر كثيراً مما سبقه. حيث إن الطين يساعد الإنسان بمرونته على التشكيل فيقوم بمعالجته حتى يصبح ألواحاً مستوية وطائعة يرسم عليها ما يشاء من الرموز ثم يتركها لتجف. وعندها تثبت الأشكال التي يمكن عجنها وتشكيلها مرة أخرى إذا أراد الإنسان. ورغم أن الطين لم يكن بالرقة والخفة المثلى إلا أنه كان حتماً أخف من الحجارة وأكثر سهولة ودقة في حمل الرموز الكتابية.

وفي حوالي عام 2500 ق.م صنع قدماء المصريين ورق البردي. وهو لفافات وشرائح تشبه الورق رغم خشونتها وبدائيتها قياساً للورق المعروف في زماننا الحاضر. وكانوا يصنعونها من نبات البردي الذي يسمى Sedge وهو نبتة صغيرة أشبه بالعشب الذي تأكله الحيوانات كانت تنمو في دلتا النيل. وقد كان لهذه النبتة من الخصائص ما جعل المصريين يستخدمونها في صناعة ورق البردي.

وكانوا يقطعون النبات ثم يجمعون أوراقه ويهرسونها في أوانٍ كبيرة حتى يصبح كالعجين ثم يطرح هذا العجين على شيء مسطح ويرقق بالضغط المستمر عليه بواسطة أجسام أسطوانية أو بعض العيدان حتى يصير شرائح رقيقة. ثم تترك هذه الرقائق لتجف وتستخدم في الرسم أو الكتابة عليها. ولما جاء الرومان إلى مصر أُعجبوا بهذا البردي ونقلوه إلى أوربا.

وفي محاولتهم لوجود بدائل للحجارة والطين وغيرها طوَّر قدماء الإغريق بعض جلود الحيوانات التي تؤخذ من الأغنام والضأن وأعدوها بشكل جيد بعد نزع الأصواف منها باستخدام بعض الكيماويات بغرض تنظيفها وتنعيم سطحها ثم

استخدامها في الكتابة. وقد أُطلِقَ عليها اسم بارشمنت Parchment. كان ذلك في حوالي عام 200 قبل الميلاد، ولكن لم تعرفها بقية البلاد الأوربية إلا في حوالي عام 100 ميلادية. وقد جاء هذا الاستخدام المتأخر نسبياً للجلود عندما دعت الحاجة إليه في اليونان قبل أن تنتشر في أوربا وما جاورها. وما يزال بعض الناس يستخدمون هذه الجلود إلى اليوم للكتابة أو الرسم عليها ليس لقلة الورق وإنما لطبيعتها الفنية، حيث استخدمها الفنانون والخطاطون الذين صنعوا منها لوحات جميلة درت عليهم الكثير من الأموال.

وبهذا الشكل ظلّ الإنسان باحثاً عن وسائل تعينه على نقل المعارف وتوثيق المعلومات مما أفضى إلى وجود كثير من الآثار التي تشهد على الحضارات البشرية المختلفة وبينها مخطوطات لكتب على الحجارة ومنحوتات على الخشب وعلى جلود الحيوانات والعظام والفخار كالكتابة المسمارية في حضارة بابل القديمة وأشور على ضفاف نهري دجلة والفرات والمخطوطات الإسلامية التي اعتمدت على المواد البدائية مثل العظام واللخاف والخشب والجلود وغيرها.

كان الصينيون هم أول من صنع الورق في العالم وذلك في عام 300م. وقد حفظوه سِراً لديهم على مدى القرون، ولم تعرفه شعوبُ أوربا إلا بعد مرور ألف عام كاملة عندما نقله المسلمون عبر الأندلس في عام 1300م. وكان المسلمون الذين انتشروا في الأمصار حتى أقصى جنوب شرق آسيا ناشرين لدين الإسلام وباحثين عن موارد تجارية للتبادل والتعامل مع غيرهم من الشعوب قد وجدوا هذا الورق في سمرقند التي انضمت لدولة الخلافة الإسلامية خلال الحملات التبشيرية.

وأطلقَ المسلمونَ عليه اسم (الكاغد) ثم استخدموه لأغراض التعليم والدعوة، ونقلوه بعد ذلك إلى أوربا التي استخدمته في كل أغراض النشر والإعلام. وإذا عدنا إلى الإخبار الإعلامي نجد أنه يكون تارةً بالقول وتارةً بالفعل كما يُعلِمُ الرجلُ أو المرأة غيره بالإشارة بيده أو بإيماءةٍ من رأسه أو عينه وغير ذلك مما يُسمى بلغة الجسد Body Language، وهو بذلك يتضمن وسائل أقرب إلى الإفهام من حيث شموله لشطري القول والفعل.

وكلمة أساليب تشمل الأمرين مع أن لكل منهما خصائصه ومميزاته. فالإشارات البدنية مثلاً تعتبرُ أعمالاً بالأعضاء أي تقوم مقام الإعلام الفعلي، وهي في نفس الوقت تدل على قيمةٍ أو معنىً ضروريٍ يتم إدراكه بإدراك قصد من قام بالفعل. وهي في ذلك مثل القول الذي له معناه ودلالته. وقد تكون دلالةُ الأفعالُ في بعض الأحيان أقوى من دلالة القول نفسه. ولكنَّ هذا لا ينفي أنَّ دلالة القول هي في الغالب أعم وأوسع بحكم أنها تشملُ أموراً غائبة في بعض الأحيان فتشرحها تماماً كالأمور المحسوسة أو الحاضرة.

ولما كانت الأدلة العينيةُ عموماً تُعتبرُ ذات قوةٍ فاعلة في كثير من الأحيان فإنَّ معجزات الرسل عليهم السلام تجيء في هذا الإطار الإعلامي. إذ أنها أفعال خارقة للعادة يمد الله ﷻ بها رسله تصديقاً لهم وتأكيداً لرسالتهم حتى يؤمن بهم مَن يدعون من الناس لاتِّبَاع دين الله. وبذلك يمكننا أن نعتبر كل العلامات التي تظهر في شكل معجزات أو خوارق للرسل إعلاماً من الحق عزَّ وجلَّ للناس بأنَّ هذا الرسول مرسلٌ من عند الله. وهذا الفعل مثله مثل القول يجري مجري الإعلام والإخبار للناس تصديقاً للمرسل في قوله. والخوارق لا قيد لها، حيث إنها قد تكون

في شكل نُصرةٍ من الله ﷻ لرسله دون أن تظهر في شكل معجزاتٍ أمامَ الآخرين ولكنها تُؤتي أكلها من حيثُ تعضيد الرسالة وتقوية جانب الرسول. مثل هذا الأمر حدث للنبي محمد ﷺ عندما خرج مع صاحبه أبي بكر الصديق ﷛ عندما تخاذل أهل مكة عن نصرته فنصره الله الذي وبَّخَ الكافرين وأنبهم عندما لم ينصروه مخبراً إياهم بأنه هو سبحانه قد نصره حين أخرجه الذين كفروا من مكة مُضطراً بعد أن هموا بقتله أو حبسه أو نفيه بدار الندوة. فخرج مع صاحبه أبي بكر الذي قال له لما رأى أقدام المشركين وهم يبحثون عنهما بعد أن احتميا بغار ثور:

«**لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا**»، فأجابه بقولٍ قاطع: «**لا تحزن إن الله معنا**» أي هو بنصرنا، فأنزل الله سكينته وطمأنينته عليه، وقد قال بعض المفسرين إنَّ كلمة عليه تعني النبي ﷺ، وقال بعضهم إنها تعني سيدنا أبا بكر الصديق ﷛.

وعموماً أيد اللهُ ﷻ نبيه محمداً ﷺ بجنودٍ هم الملائكة داخل الغار ومواطِن قتاله، وجعل كلمة الذين كفروا ودعوتهم للشرك هي السفلى والمنحطة في حين جعل كلمة الله هي العليا والظاهرة والغالبة.

وقال المفسرون إنَّ كلمة الله هنا تعني الشهادة لأنَّ اللهَ عزيزٌ في ملكه وحكيمٌ في صنعه. وقد صور اللهُ ﷻ هذا المشهدَ كاملاً في سورةِ براءة حيث قال: ﴿**إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [21].

[21] قرآن كريم، سورة التوبة، آية 40.

بعد ذلك لا شك أن تطور البشرية قد أفضى إلى استخدام التكنولوجيا الحديثة في الاتصال فأضاف بعداً جديداً لتواصل البشر. وقد برز هذا البعد من خلال استخدام التلغراف ثم التلفون ثم الفاكس والبريد الإلكتروني وشبكات الإنترنت وغيرها. ولعب كل هذا دوراً في نشر الثقافات والاهتمام بالدعاية التي استخدمت كل وسائل التكنلوجيا الحديثة.

وبرزت محطات التلفزيون والاذاعات العامة والمتخصصة والتي وجدت رواجا في كل بقاع العالم. ومن خلالها وجدت أنماط الثقافة الإنسانية مراتع لها في كل بقاع الدنيا. واستغلها صناعُ السياسة والإعلام والآداب والفنون في بث ونشر ما لديهم من أنماط معرفية مختلفة.

كما كان استخدام السينما في بعض المراحل عنصراً مهماً قبل تطور التلفاز والإنترنت حيث لعبت دوراً في انتشال الناس من مرحلة البدائية الاتصالية إلى مرحلةٍ أرقى من حيث أسلوب تقديم المادة الاتصالية. ولعل الناس قد أحسوا طوال سنوات هذا التطور بأهمية التعلم من بعضهم بعد أن شعروا بأنهم محتاجون بالفعل إلى بعضهم.

ولعلهم قد أدركوا بالفعل حقيقة ما جاء في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**﴾ [22]. وقال أيضا: ﴿**وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ**

[22] قرآن كريم، سورة النساء، آية 1.

وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [23]. كما قال أيضاً: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [24]. ثم قوله: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [25].

ولا شك إن الإنشاء المقصود به خلق الإنسان من تزاوج الأب والأم عن طريق الاستقرار في الرحم ومستودع الكل في الصلب والمرور بالأطوار التي أشار إليها القرآن الكريم بشكلٍ لطيف حين قال:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [26].

والمعنى فيه خطابٌ لأهل مكة حيث خاطبهم الله سبحانه وتعالى أن يا أهل مكة إن كنتم في

---

[23] قرآن كريم، سورة الأنعام، آية 98.

[24] قرآن كريم، سورة الأعراف، آية 189.

[25] قرآن كريم، سورة الزمر، آية 6.

[26] قرآن كريم، سورة الحج، آية 5.

شكٍ من البعث فإنَّا خلقنا أصلكم وهو آدم من تراب ثم خلقنا ذريته من نطفة المني ثم من العلقة التي هي الدم الجامد ثم من مضغة هي لحمة قدر ما يمضغ، وهي مُصورةٌ تامة الخلق وغير مخلقة أي غير تامة الخلقة، وذلك بغرض أن نبين لكم كمال قدرتنا حتى تستدلوا بها في ابتداء الخلق على إعادته، ونقرُ في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى وهو وقت خروج الطفل من بطن أمه، ثم نخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالاً ثم نعمركم لتبلغوا الكمال والقوة وهي فترة ما بين الثلاثين إلى الأربعين سنةً، ومنكم من يموت قبل بلوغ هذا العُمر ومنكم من يُرد إلى أرذل العمر من الهرم والخرف حتى لا يعلم من بعد علمٍ شيئاً. ولكنَّ عِكرمة وضع استثناءاً لذلك حين قال: **(من قرأ القرآن لا يصير إلى هذه الحالة)** واللهُ أعلم.

وبعد أن خُلق الإنسانُ وخرج إلى الوجود أُمر بالتواصل الذي يتم في شكله البسيط بين فرد وآخر لنقل معلومةٍ أو استفسار. وهو يحتاج إلى حصيلة لغوية تسهم في إكمال هذه العملية. ولذلك عندما خلق الله الإنسان خلقه قادراً على صنع الكلام بمفرداته ومعانيه. وقال في محكم تنزيله: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [27].

وانتشر الناس في بداية أمرهم في بقاع مختلفة من الغابات والسهول والوديان ومجاري الأنهار التي كانت هي المكونات الطبيعية البسيطة لكل الأمصار، حيث لا عمارات ولا شوارع ولا تقنيات ولا قرى ولا مدن. وكانت حاجة الإنسان البسيط لا تتعدى الأكل والشرب والاستئناس بظل يضطجع تحته أو مكانٍ آمن يأوي إليه من خطر الحيوانات الداهمة والطبيعة الموحشة. ووجد الناس أنفسهم

---

[27] قرآن كريم، سورة البقرة، آية 31.

متفرقين في أماكن اختارها كلٌ حسب مزاجه وحسب حاجته. ولذلك نبعت الحاجة لتسمية الأشياء التي مِنْ حولِهم. وظهرت تلقائياً المفردات التي برزت بشكل تلقائي أقرب إلى العشوائية لتمييز الأشياء التي حولهم وفق ما يرونه مناسباً ووفق ما تجود به ملكاتهم التعبيرية من كلمات. وشيئاً فشيئاً كونت هذه الكلمات حصيلة لا بأس بها، فأصبحت لغةً لهذه المجموعة. وقطعاً فإنَّ مفردات هذه اللغة لا تتعدى الأشياء التي حولهم.

وإذا علمنا أن كل مجموعة قد عاشت بمعزل عن المجموعة الأخرى في مكان مختلف وربما في ظروف مختلفة فإنها ستخلق لغة أخرى بنفس الطريقة. وشيئاً فشيئاً كثرت اللغات باختلاف المجموعات البشرية مهما قل عدد أفرادها أو كثر. ولا غرو أن اللغة بهذا الأسلوب قد أصبحت هي العامل الأول والأساسي بل والأوحد ربما في عملية التواصل بين البشر في تلك المرحلة المبكرة من عمر الإنسانية.

إذن فاللغةُ تعتبر صنيعةً بشرية أسهمت فيها أدوات النطق والتفكير التي غرسها الخالق ﷻ في الإنسان لتساعده على التواصل. وبذلك فإنَّ كل إنسان في هذه الدنيا له قابلية أن يتعلم أي لغةٍ من اللغات ما دام له جهاز نطق سليم. وهذا الجهاز قد خلق بقابليةٍ كاملة لدى كل إنسانٍ سوِي ولكنه إذا تَعَرَّضَ للغةٍ بعينِها ونِظامٍ صوتيٍ بعينه فإنه سيتأقلم على هذا النظام وتضعف قابليته تدريجياً للتكيف مع أصوات اللغات الأخرى التي لم يتعرض لها.

وعلى كلِ حال فقد تطورت بمرور الزمن حصيلة البشر اللغوية وكثرت مفرداتهم الدالة على الأشياء والأفعال والأنشطة والاختراعات والمستجدات التي

يستخدمها أبناء كل لغة. إضافةً إلى ذلك تطورت اللغات بإضافة المسميات التي تطرأ على حياة الناس ومداركهم من أشياء وسلوك وغيرها. حتى أن كل لغة من اللغات الإنسانية أصبحت كافية بمتطلبات جميع الأفراد الذين يستخدمونها من حيث المعاني والمدلولات والإيحاءات. وقد كان ذلك أولى الخطوات في البحث عن قنواتٍ حقيقية للاتصال البشري.

عناصر الاتصال الدعوي في الإسلام

منذ زمانٍ بعيد برزت الدعوة الإسلامية على أنها شكلٌ متفرد ومهم من أشكال الاتصال البشري. وهو اتصالٌ إعلامي بمعنى الكلمة آتى أُكُلَه وحققَ تميزاً واضحاً على مرِّ السنوات وذلك بما له من خصائص ومميزات جعلته مثار انتباه الكثير من علماء الاتصال الحديث.

وبما أن الاتصال في صورته العامة هو عمليةُ نقلٍ وتبادلٍ للمعلومات والحقائق والخبرات والآراء والمفاهيم والأفكار والشعور والإحساس والاتجاهات وطرح وجهات النظر وغير ذلك بواسطة رموز من شخص إلى آخر أو شخصٍ إلى مجموعةٍ من الأفراد فإن الدعوة الإسلامية قد سعت طوال تاريخها لتحقيق هذا الشكل الاتصالي الإنساني الرفيع.

وهي في ذلك قد استنبطت عدة أساليب منها ما كان مؤثراً بشكلٍ واضح في جمهور المتلقين ومنها ما احتاج إلى تقويمٍ وتغيير حسب آراء النقاد والمختصين. ولما كان غرض الدعوة الأساسي هو إنجاح مشروعها العقدي كان لا بد من اختيارها لأنجع أساليب الاتصال العلمية التي تؤدي لتفعيل عناصر العملية

الاتصالية الخمسة وهي: المرسل، والمستقبل، والرسالة، والوسيلة، ورد الفعل. فما هي هذه العناصر من خلال الإعلام الدعوي؟

1/ المصدر (المرسل) Sender

المصدر أو المرسل هو المنشئ الأول للرسالة الإعلامية. وفي مجال العقيدة هو الله ﷻ. وهذا هو أول مايميز رسالة الإسلام عن غيرها من رسالات الإعلاميين لأنها من الله عز وجل. ويترتب على هذا أيضاً أن أصبح القائم بالاتصال أو المتلقي ليس مجرد ناقل للرسالة، وإنما يتصف بأقصى درجات الدقة والأمانة رغم تعاقب الأجيال، ولذلك لم يطرأ عليها تغيير أو تعديل، ولم يحاول أحد أن يضيف عليها من ذاتيته وتفكيره عكس رسالات الإعلاميين الأخرى.

والمرسل هنا يمثل الركيزة الأساسية التي تقوم على بنيات العقيدة الراسخة من السلوك والمنهج والأسلوب القويم. ولا بد أن تتوفر لديه الفكرة الكاملة عمَّا يدعو إليه، ثم المعلومات المتعلقة بموضوع الدعوة، والخبرات العملية التي تتيح توضيح الرسالة، والرأي السليم الذي يركز على إبراز أشكالٍ عديدة من أهمها اقتراح الحلول للمشاكل التي يطرحها جمهور السائلين، والرؤية الواضحة للحكم على مستجدات الأمور والتي تكثر في المجتمعات البشرية.

ولذلك لا بد أن يتحلى المرسل في مجال الدعوة بوضوح الفكرة ووجهة النظر والرأي الواضح الذي يتمثل فيما يريد أن يوصله إلى جمهوره من المتلقين. والمرسل في مجال الدعوة قد يكون فرداً أو جماعة تتمثل في هيئةٍ من الهيئات أو جماعة فكرية أو مؤسسة علمية أو طائفة دينية أو منظمة ذات خصوصية وما إلى

ذلك. وفي كل الأحوال لا بد للمرسل أن يتحلى بالعديد من السمات والصفات قبل أن يتصدى لأمر الدعوة. وقد وردت هذه السمات مفرقةً في آيات القرآن الكريم، حيث قال تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ**﴾ [28].

والخطاب هنا للنبي ﷺ الذي ظل يتلقى القرآن من عند الله الحكيم العليم من أول آياته إلى أن اكتمل نزول القرآن. وقال تعالى: ﴿**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً**﴾ [29]. والمعنى أنهم لا بد أن يتدبروا ويتأملوا في هذا القرآن الذي جاء من عند الله ﷻ وما فيه من المعاني البديعة التي لو كانت من عند غير الله لوجدوا فيها اختلافاً كثيراً وتناقضا في المعاني وتبايناً في النصوص.

2/ المتلقي أو المستقبل Receiver

هو كل من يتلقى الرسالة الإعلامية المرسلة إليه من المصدر مهما كان شكل هذه الرسالة. وفي مجال الدين فإنَّ المستقبل يمثل كل فردٍ أو جماعة أو كتل من البشر أو من الجن تتلقى وحي السماء الذي يصل إليها. وهو في نموذجنا هذا يبدأ بالمصطفى ﷺ كما قال تعالى: ﴿**وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً**﴾ [30]. وأيده بالمعجزة العلمية والحجة العقلية وهي القرآن الكريم الذي تحدى البشر أن يأتوا بمثله في قوله تعالى: ﴿**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ**

[28] قرآن كريم، سورة النمل، آية 6.

[29] قرآن كريم، سورة النساء، آية 82.

[30] قرآن كريم، سورة الأحزاب، آية 46.

لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [31]. وفي معظم الأحوال فإن المرسل يتوجه بما لديه من أمر الدعوة إلى المستقبل بالأسلوب الذي يسهم في توصيل أفكاره وآرائه واتجاهاته إليه. والغرض في كل الأحوال هو توصيل الرسالة السامية لهذا المتلقي. ولعل أول من لعب دور المستقبل هم أهل مكة الأوائل الذين بعث الله لهم النبي من أهلهم وبني جلدتهم ليدعوهم إلى الدين الجديد، حيث قال تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾** [32].

والأميون هم العرب الذين كانوا مستقبلي الرسالة الأوائل، وقد استخدم القرآن الكريم عبارة الأميين للدلالة عليهم وهي عبارة تعني مَن لا يكتب ولا يقرأ كتاباً، وقال بعض المفسرين هم الذين لم تأتهم رسالة سماوية من قبل. ولذلك كان المرسل إليهم من شاكلتهم لأنه يعرف طبائعهم وسلوكهم وكيفية الولوج إلى عقولهم وهو النبي محمد ﷺ.

أما الجن فهم أيضاً معنيون برسالة الإسلام ولذلك يمثلون المستقبل في الرسالة الاتصالية الدعوية, وقد ورد فيهم قوله تعالى: **﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾** [33]. وقيل إن أولئك هم نفرٌ من الجن من نصيبين باليمن أو من نينوى وكانوا سبعة أو تسعة وكان النبي ﷺ عندئذٍ موجوداً ببطن نخلٍ يصلي إماماً

---

[31] قرآن كريم، سورة الإسراء، آية 88.

[32] قرآن كريم، سورة الجمعة، آية 2.

[33] قرآن كريم، سورة الأحقاف، آية 29.

بأصحابه صلاةَ الفجر، وكان الجن في تلك اللحظة يستمعون للقرآن فلما حضروه قال بعضهم لبعضٍ أنصتوا لاستماعه، فلما فرغ النبي ﷺ من قراءته رجعوا إلى قومهم منذرين ومخوفين لهم من العذاب إن لم يؤمنوا بهذا القرآن والدين الذي جاء به، وكانوا يهودا فأسلموا.

وكان الغرض من بعثة النبي ﷺ إلى هؤلاء وأولئك أن ينقل إليهم رسالةً ذات ثلاثة أبعاد هي: 1/ أن يتلوا عليهم آيات الله وهي القرآن الكريم، 2/ وأن يزكيهم ويطهرهم من الشِرك، 3/ وأن يعلمهم الكتاب أي القرآن والحكمة لما فيه من الأحكام. والسبب كما جاء في النص القرآني أنهم كانوا من قبل مجيئ الرسالة إليهم في ضلالٍ مبين وواضح لا تخطئه العين.

ولم يكن على النبي ﷺ حينئذٍ غير إبلاغ الرسالة حتى إذا أسلموا فبها وإلا إذا خاصموه وجادلوه في الدين فعليه أن يقول لهم إنني أسلمت وجهي لله، أي إنني قد امتثلت لهذه الرسالة وانقدت لها أنا ومَن اتبعني من الناس.

وقد خص وجهه بالذكر في هذا المقام لشرف الوجه عند الإنسان. ثم أمره أن يقول للذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والأميين من مشركي العرب: أأسلمتم؟ فإذا أسلموا فقد اهتدوا من الضلال، وإذا تولوا عن الإسلام فما على الرسول إلا تبليغ الرسالة والله بصير بالعباد حيث يجازيهم بأعمالهم. وهذا واضحٌ من قوله تعالى: ﴿**فَإنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**﴾ [34].

[34] قرآن كريم، سورة آل عمران، آية20.

3/ الرسالة Message

وهي الموضوع الذي يرسله المرسل من حديث أو فكر أو أي نوع من النِتاج المادي الذي يوضع في قالب الرمز أو الفكرة أو البرنامج. وقد يكون ذلك في صورة خبر، أو فكرة، أو دعوة للتغيير، أو سؤال، أو استنكار، أو وعظٍ الخ.. والرسالة قد تكون في صورة كلام مسجل بالصوت أو الصورة المعبرة عن الغرض المطلوب، أو عباراتٍ مكتوبة، أو موجاتٍ، أو إشارات يمكن فك رموزها وفهمها عندما تصل إلى المستقبل في أي شكل من الأشكال.

و الرسالة في نموذجنا هذا هي القرآن الكريم الذي هو كتاب الله، والقانون السماوي المعجز، والحجة الدامغة، والحكمة البالغة، والموعظة الحسنة، أنزله الله ﷻ متضمناً لأسمى المبادئ وأقوم المناهج وكل ما تحتاج إليه البشرية.

وقد جاء في وصفه قول الله تعالى: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ**﴾ [35]. وهي رسالةٌ لمحمد بن عبد الله النبي الخاتم طابعها هو الحق والهدى، ليكون بشيراً لمن استجاب له بالجنة ونذيراً لمن لم يستجب بالنار، وقال له الله ﷻ لا تُسْأَلُ عن أصحاب الجحيم أي النار وهم الكفار ما لهم لم يؤمنوا إنما عليك فقط البلاغ وليس إجبار الناس على الإذعان.

وجاء قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ**﴾ [36]. كما جاء قوله تعالى في سورة براءة: ﴿**إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ**

---

[35] قرآن كريم، سورة البقرة، آية 119.

[36] قرآن كريم، سورة فاطر، آية 24.

وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[37]. ولما كانت رسالة الإسلام هي القرآن وهو كلام الله ﷻ الذي أنزله على نبيه محمد بن عبد الله ﷺ عن طريق أمين الوحي جبريل عليه السلام فقد وصف الله ﷻ هذا القرآن بعدة أوصاف تراوحت بين الكريم، والعظيم، والمجيد وذي الذكر، وأيضاً وصف بأنه عربيٌ، وأنه بلسانٍ مبين. حيث جاء وصفه بأنه الْقُرْآنُ الْحَكِيم كما ورد في سورة ياسين.

والقرآن الحكيم أي المحكم بعجيب النظم وبديع المعاني. وجاء في سورة ق وصفه بالقرآن المجيد: ﴿**ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ**﴾ [38]. والمجيد تعني الكريم. ثم جاء في سورة الحجر قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**﴾ [39]. وجاء في سورة ص قوله تعالى: ﴿**وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ**﴾ [40]. والقرآن ذي الذكر أي ذي البيان والشرف.

كما وصفه الله ﷻ في ستة مواضع بسورة يوسف وسورة طه وسورة الزمر وسورة فصلت وسورة الشورى وسورة الزخرف بأنه قرآنٌ عربي ومنها قوله تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [41]. وهذه الإشارة تعني أن الحق عزَّ وجلَّ قد جعل قرآنه الكريم عربياً أي بلغة العرب لعل أهل مكة يعقلون ويفهمون معانيه. ووصفه في سورة الشعراء بأنه مبين حيث جاء قوله تعالى: ﴿**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ**

[37] قرآن كريم، سورة التوبة، آية 111.

[38] قرآن كريم، سورة ق، آية 1.

[39] قرآن كريم، سورة الحجر، آية 87.

[40] قرآن كريم، سورة ص، آية 1.

[41] قرآن كريم، سورة الزخرف، آية 3.

مُّبِينٍ﴾ [42]. أما في سورة الرحمن فقد جاء أمرٌ وقف عنده الناسُ كثيراً وهو بداية الخلق وتعليم القرآن أيهما كان أسبق. قال اللهُ تبارك وتعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾ [43]. حيث جاءت الإشارة أولاً إلى تعليم القرآن ثم خلق الإنسان أي وضع اللهُ ﷻ القرآن أولاً كمنهاجٍ ثم خلق الإنسانَ وعلمه هذا المنهج.

4/ القناة أو الوسيلة Medium

وكما هو معروف فإن أهل مكة قد احتجوا على بعث النبي ﷺ وقالوا لماذا لم ينزل هذا القرآن على رجلٍ من أهل القريتين من أيةٍ منهما يكون له شأن عظيم وبالذات الوليد بن المغيرة بمكة أو عروة بن مسعود الثقفي بالطائف؟ وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**﴾ [44].

والوسيلة في النموذج الديني تتمثل في الوحي المقدس الذي يُطلق لفظه ليُراد به إعلام الله تعالى لنبيه محمد ﷺ كما كان من قبله لكل رسل الله الأكرمين عليهم السلام والذين بعثهم سبحانه وتعالى بأحكامٍ شرعيةٍ إلى أقوامهم لتكونَ ملزمةً لهم، حيث يقول الحق عزَّ وجلَّ في ذلك: ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ**

---

[42] قرآن كريم، سورة الشعراء، آية 195.

[43] قرآن كريم، سورة الرحمن، آيات 2، 3، 4.

[44] قرآن كريم، سورة الزخرف، آية 31.

وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً﴾[45]. وله عدة أنواع ذكرها الله تعالى في قوله: **﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾** [46]. فالآية تقرر أربعة أنواع من الوحي هي:

1/ وحياً: أي إلقاء المعنى الذي يريده الحقُ عز وجلّ في قلب الرسول حتى يعيه تماماً ويُدركُ مضمونَه وأسلوبَه، وهو المعبر عنه بالنفث في الروع.

2/ الكلام من وراء حجاب: وهو أن يسمع الموحى إليه كلام الله دون رؤيته كما سمع موسى النداء من وراء الشجرة: **﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾** [47].

3/ ما يلقيه الملك المرسل بالوحي من الله ﷻ إلى رسوله فيراه متمثلاً في صورة رجل أو غير متمثل.

4/ الرؤيا: وهي إحدى طرق الوحي أو ما بدأ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصالحة. ورؤيا الأنبياء حق، قال تعالى: **﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي**

---

[45] قرآن كريم، سورة النساء، آية 163.

[46] قرآن كريم، سورة الشورى، آية 51.

[47] قرآن كريم، سورة القصص، آية 29.

الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [48].

5/ رجع الصدى (رد الفعل) Feedback

﴿**ولَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ**﴾ [49]. والتيسير هو التسهيل الذي جعله الله ﷻ وسيلةً لحفظ القرآن بعد أن هيأه للتذكر فهل من مُدكرٍ مُتعظٍ به وحافظٍ له ؟ ويجيء الاستفهام هنا لا ليدل على السؤال وإنما ليدل على الأمر بمعنى احفظوا أيها الناس هذا القرآن واتعظوا به. وكما هو معروف ليس يوجد بين كتب الله ﷻ ما يُحْفَظُ عن ظهر قلب غير القرآن.

وهذه الآية بالتحديد تكررت في القرآن أربع مرات بنفس السياق في سورة القمر فهي الآية 17، وهي نفسها الآية 22 والآية 32 والآية 40. وجاء قوله تعالى في سورة ق: ﴿**نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ**﴾ [50]. حيث أمر اللهُ ﷻ نبيه الكريم عليه أفضل الصلاةِ وأتم التسليم أن يُذكر الناس بالقرآن من يخاف وعيده وهم قطعاً المؤمنون الذين امتثلوا للرسالة وطبقوها في أنفسهم.

---

[48] قرآن كريم، سورة الصافات، آية 102.

[49] قرآن كريم، سورة القمر، آية 17.

[50] قرآن كريم، سورة ق، آية 45.

6/ التشويش Noise

التشويش هو كل فعل سلبي يضر بالرسالة أو يسهم في إنقاصها أو عدم وصولها بالشكل الكامل. وهو قد يحدث من جانب المرسل أو من جانب المستقبل أو من جانب الرسالة نفسها. وفي مجال الرسالة العقدية لم يكن هناك تشويش أو نقص من جانب المرسل الذي هو الحق عزَّ وجل، ولا من جانب الرسالة التي هي ذاتُ كمال واضح بحكم أنها من عند الله ﷻ ولا من جانب المتلقي الأول الذي هو النبي ﷺ.

إذن كان كل التقصير من جانب المتلقين الذين رفضوا الانصياع للدين سواء من أهل الكفر الصراح أو من عصاة المسلمين الذين هجروا القرآن أو نافقوا في سلوكهم. وقد برز هذا التشويش جلياً من خلال قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً**﴾ [51].

والمعنى أن الله ﷻ قد بين للناس في هذا القرآن من كل مثل ليتعظوا فأبى أكثر الناس أي أهل مكة إلا أن يكفروا ويجحدوا بنعمة الحق. ومثله في آية الكهف: ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً**﴾ [52].ورغم أن الله ﷻ قد أوضح لنبيه الكريم ﷺ أنه ما أراد له الشقاء ولا النصب بإعطائه هذه الرسالة ﴿**مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى**﴾ [53]. إلا أن القوم لم يمتثلوا لأمر الله ﴿**وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ**

---

[51] قرآن كريم، سورة الإسراء، آية 89.

[52] قرآن كريم، سورة الكهف، آية 54.

[53] قرآن كريم، سورة طه، آية 2.

مَهْجُوراً﴾ [54]. ووصفهم الحق عزَّ وجلَّ بقوله: **﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾** [55]. أي أنهم آمنوا ببعض القرآن وكفروا ببعضه وقيل المراد بهم الذين اقتسموا طرق مكة يصدون الناس عن الإسلام ووصف بعضهم القرآن بأنه سحرٌ وقال بعضهم إنه كَهانة أو سجعُ الكهان، وقال البعض الآخر إنه شِعْر.

ووصفهم الحق عزَّ وجلَّ أيضاً بقوله: **﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾** [56]. أي مالهم إذا قريء عليهم هذا القرآن لا يسجدون ويخضعون له ويؤمنون به رغم إعجازه؟ وقال على سبيل التذكير لأولئك العُصاة بأن قلوبهم قاسية وأنهم لا خلاق لهم ولا رقة في أفئدتهم وبخهم الله بطريقٍ غير مباشر حين أخبرهم بقيمة هذا القرآن وأهميته وأنه ليس بالأمر الهين الذي يمرون عليه هكذا، فقال: **﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾** [57].

7/ الهدف Objective

وهو هنا دعوة الناس جميعاً إلى ما ارتضاه الله ﷻ للإنسانية من نظم شاملة صالحة لتدبر شئون الحياة الإنسانية، وضمنها خلاصة ما جاءت به الأديان السماوية السابقة. وبذلك تحولت الدعوة إلى الله إلى حقيقة وقضية تُعاش في حياة

---

[54] قرآن كريم، سورة الفرقان، آية 30.

[55] قرآن كريم، سورة الحجر، آية 91.

[56] قرآن كريم، سورة الانشقاق، آية 21.

[57] قرآن كريم، سورة الحشر، آية 21.

رسولنا الكريم ﷺ وتشغل تفكيره، وتملأ وجدانه من أجل أن يأخذ هذا الدين وضعه الطبيعي اللائق به في دنيا الناس كما أراد له الله رب العالمين [58]. ولعل واحدةً من أهم وظائف هذه الرسالة الربانية هداية الناس للطريق القويم. حيث جاءت الإشارة واضحة من خلال قوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً**﴾ [59]. والتي هي أقوم هي طريق الحق والعدل والصواب وتبشير الذين يجتهدون في صالح الأعمال بأن لهم أجراً كبيراً ولن يضيع جهدهم هباءاً.

ثم جاء هدف آخر لا يقل أهميةً لهذه الرسالة حيث قال تعالى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً**﴾ [60]. ولا شك أن كل رسالة تهدف إلى التأثير على المتلقي سواء بإضافة معلومات لم تكن معروفة، أو محاولة تغيير السلوك نحو الأفضل، أو إعطاء جرعات من المعرفة لتحقيق غرض معين، أو تبديل عاداتٍ بشرية بأخرى، أو إعلام الجمهور ببعض الأحداث التي يحتاج إليها الإنسان كالتطعيم أو التسجيل لانتخابات برلمانية أو الاستعداد لامتحان الخ..

وقد عُني الإعلام الإسلامي بأمور إضافية مثل ظهور شهر الصيام، أو بداية إجراءات السفر للحج إلى بيت الله الحرام، أو فتح إجراءات العمرة الخ.. كما فرض الإسلام على متلقي الرسالة الإعلامية أموراً أخرى ذات طابع تعبدي

---

[58] محمد منير حجاب، (2003م)، الإعلام الإسلامي المبادئ – النظرية – التطبيق، دار الفجر للنشر والتوزيع، بيروت.

[59] قرآن كريم، سورة الإسراء، آية 9.

[60] قرآن كريم، سورة الإسراء، آية 82.

كالتعامل مع غير المسلمين، وإخراج الزكاة من الموسرين في وقتها وتوزيعها على المحتاجين ومن تشملهم مصارفها الشرعية، والخروج للجهاد عندما يحين أوانه الخ.. وتأثير القنوات الإعلامية من منظوره الإسلامي يتشعب كثيراً بقدر تشعب قضايا الدعوة الإسلامية نفسها.

ولذلك فإن التأثير قد يكون دينياً أو دنيوياً بمعنى أنه قد ينزع إلى تجميل السلوك بغرض نيل الثواب في الآخرة، وقد يكون بغرض تحقيق مآرب آنية في المجتمع الحاضر كتغير السلوك العام نحو التعامل مع الآخرين، أو المشاركة في العمل العام، وتنمية المشاريع الخيرية في الدولة، أو أي أمر من الأمور التي تخدم الأمة أو الدعوة الإسلامية من منظورها الديني.

وبذلك تلعب البرامج الدعوية ونظيراتها من الكتابات المنشورة دوراً مهماً في بذر بذور الصدق والأمانة والإخلاص في المجتمع، ثم تؤدي في نهاية المطاف لإشاعة التراحم والمودة بين الكبار والصغار، وهذا هو مراد الدين. ومن المعروف في مجال الرسائل الاتصالية أن الصورة الذهنية عندما تتم ترجمتها إلى رموز فإنها تصبح قابلة للانتقال بسهولة وفاعلية، إلا أنها لا تذهب بعيداً بغير واسطة الوسائل الوسيطة، وهي قد أصبحت متطورة ومتعددة في عالم اليوم بشكل ميسور ومذهل في كثيرٍ من الأحيان. وقد استغلته بيوت الخبرة الإعلامية الحديثة أشد استغلال حتى جعلت من العالم منتجعاً صغيراً متداخلاً ومترابطاً فيما بينه.

ولذلك كانت الدعوة الإسلامية قد سبقت في خلق وسيلةٍ أسمى وأرفع لنقل هذه الرسالة العظيمة، وهي شخصية المصطفى ﷺ الذي وصفه القرآنُ نفسهُ بأنه شديد ورحيم وودود وراكع وساجد هو وأصحابه، حيث جاء قوله تعالى: ﴿**مُّحَمَّدٌ**

رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ [61].

وهذا الوصف مهم في مجال توصيف شخصيةِ مَنْ تَصَدّى لهذا الأمر الجلل وهو حمل رسالة القرآن العظيم، حيث إنَّ رسولَ الله ﷺ وأصحابه الذين معه من المؤمنين أشداءٌ وغِلاظٌ على الكافرين، لم يرحموهم وهم الرحماء فيما بينهم أي متعاطفون ومتوادون، تراهم راكعين وساجدين لله ﷻ، يطلبون منه الفضل والرضوان، تميزهم علاماتهم التي في وجوههم وهي كما وصفها المفسرون نُورٌ وبياضٌ يُعرفون به يوم القيامة ليدل على أنهم سجدوا في الدنيا، والسجود هو أقرب الحالات التي يكون فيها المرء قريباً من الله ﷻ.

ومع اليقين الكامل بأن شخص المصطفى ﷺ كان وسيلة القرآن المثلى إلا أنه لا يقدح في ذلك اعتبار كل الصحابة والدعاة والأئمة مشاركين في هذا الدور الكبير. بل إن وسائل الاتصال العديدة التي أفرزها تطور البشرية في أنحاء الأرض قاطبةً يستدعي أن نعتبرها وسائل من شكلٍ آخر لنقل رسالة الإسلام. ولعله آن الأوان أن تستغل الدعوة الإسلامية هذه الوسائل من مخترعاتٍ حديثة ووسائل إعلامٍ متطورة لتواكب طبيعة المتلقين في هذا العصر.

---

[61] قرآن كريم، سورة الفتح، آية 29.

ومن زاويةٍ أخرى لا بد أن نشير إلى وسيلةٍ أخرى لا تقل أهميةً عن سواها وهي وسيلة الكلمة التي اعتمد عليها الإسلام كثيراً في مساره الطويل. حيث إن من الواضح أن الكلمة كانت وظلت على مر العصور ذات بعد دلالي وتأثير عميق على المتلقي. حتى أن القرآن الكريم قد أشار إلى ذلك في أكثر من موضع بمعانٍ مختلفة لكنها تصب في إطار أهمية الكلمة كوسيلة، حيث قال تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ [62].

وقال: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء**﴾ [63].

وقال في وصف الكلمة: ﴿**وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ**﴾ [64].

وقال في كلمة الضلال: ﴿**ما لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلا كَذِباً**﴾ [65]. أما كلمة التوحيد فقد قال فيها: ﴿**وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [66]. وجعلها أي كلمة التوحيد المفهومة من قوله إني ذاهب إلى ربي سيهدين كلمة باقية في ذريته، فلا يزال فيهم

---

[62] قرآن كريم، سورة آل عمران، آية 64.

[63] قرآن كريم، سورة إبراهيم، آية 24.

[64] قرآن كريم، سورة إبراهيم، آية 26.

[65] قرآن كريم، سورة الكهف، آية 5.

[66] قرآن كريم، سورة الزخرف، آية 28.

من يوحد الله لعلهم يرجعون عما هم عليه إلى دين أبيهم إبراهيم ﷷ. أما كلمة التقوى فقد جاء ذكرها في قوله تعالى: ﴿**إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً**﴾ [67].

ومن خلال هذه الآية نجد أن الله ﷻ أنزل سكينته على رسوله محمد بن عبد الله ﷺ وعلى المؤمنين فصالحوهم على أن يعودوا من قابل ولم يلحقهم من الحمية ما لحق الكفار حتى يقاتلوهم، وألزم هؤلاء المؤمنين كلمة التقوى التي هي (**لا إله إلا الله محمد رسول الله**). وقد سميت كلمة التقوى لأنها سببها.

وكما هو معلوم فإن الكلمة المنطوقة تكون أسرع في الإنتقال والتأثير من الكلمة المطبوعة. ولذلك لجأ إليها الكثير من أهل الإعلام واعتمدتها المحطات المختلفة للراديو والتلفاز. ولكن هذا لا يقدح في أمر الكلمة المطبوعة التي تتفوق على الكلمة المنطوقة بالبقاء لأطول مدة من الزمن فضلاً عن سهولة ارتحالها بعيداً في الزمان والمكان.

ونحن ندرك أن الكتب قد خلدت كثيراً من الأفكار والأقوال عبر القرون كما هو حال الرسالات السماوية والآداب والعلوم وكل أساليب النتاج الفكري للعلماء والفلاسفة وغيرهم من الذين أسهموا في صنع الثقافة والمعرفة. ولولا هذا الأسلوب لما استطعنا أن نتعرف على القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وغيرها من أقوال الصحابة رضوان الله عليهم وأعمال المتقدمين من الكتاب والأدباء

---

[67] قرآن كريم، سورة الفتح، آية 26.

الخالدين في مختلف العصور [68]. قال تعالى: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ**﴾ [69].

---

[68] محمود عودة، أساليب الاتصال والتغيير الاجتماعي – دراسة ميدانية في قرية مصرية— بدون تاريخ، دار المعارف، القاهرة، ص 14.

[69] قرآن كريم، سورة يوسف، آية 3.

الفصل الثاني

المضامين الاتصالية للقرآن الكريم

الفصل الثاني

المضامين الاتصالية للقرآن الكريم

❄❄❄❄❄

القرآن الكريم هو كتاب الله الذي أنزله على رسوله محمد بن عبد الله النبي العربي الأمي، الذي وُلدَ وعَاشَ بِمكةَ المكرمة إلى أنْ نزل عليه أمين الوحي جبريل ﷺ بأولى آيات هذا القرآن العظيم. وكان يومها جالساً في غار حراء يتأمل في الكون والخلق وعظمة هذا الوجود.

والقرآن هو الكلام المحفوظ بين دفتي المصحف الشريف المتعبد بتلاوته والذي تعهد الله ﷻ بحفظه إلى أن يرث الأرضَ ومن عليها. وهذا الكتاب العظيم اشتمل على كثير من الأحكام والأوامر والنواهي والقصص التي جاءت في سوره الكريمة. وقد اشتمل على مائة وأربعة عشرة سورة كريمة. وكان قد نزل بمكةَ أولاً ثم توالى نزوله بالمدينة المنورة ليكتمل نزوله في ثلاث وعشرين سنة هي سنوات الوحي الإلهي.

وهو في كماله وجماله وحكمته قد اشتمل على جميع أنواع الحجج والبراهين والأدلة العقلية التي جاءت من لدن حكيم عليم خبيرٍ بشؤون خلقه وشؤون الدين والدنيا. ولذا ما من برهانٍ ولا دلالةٍ أو تقسيمٍ وتحذيرٍ من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكان كتاب الله قد نطق به، ولكن أورده على عادات العرب دون دقائق طرح المتكلمين لسببين رئيسيين أولهما ما قاله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن**

رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[70]. والثاني هو أن المائل إلى دقيق الحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالدليل القطعي من الكلام. والذي استطاع أن يفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم ينحط إلى غموض الذي لا يعرفه إلا الأقلون، ولم يكن غامضاً. ومن يجادل في هذا القرآن بغير علم يذيقه اللّهُ عذاب السعير.

وخبر القرآن هو الخبر الصادق الذي لا مراء فيه لأنه من عند الله الذي يعلم السر وأخفى. ولغته لغةٌ ذات جرسٍ بديع موزون بلا أوزان ومقفى بلا قوافي لأنه ليس شعراً ولا سحراً ولا سجعاً وإنما هو حديثٌ مقدسٌ موحى به في غاية الكمال اللفظي والمعنوي[71].

ومن خلال كل هذا فإنَّ هذا القرآن العظيم يُعتبر رسالةً اتصاليةً إعلاميةً متكاملة تشتمل على كل عناصر الاتصال الكامل غير المنقوص. وهذا ما سيتم توضيحه بشكلٍ جلي من خلال هذه السطور. وفيه أسس راسخة للدعوة للإيمان بالله ﷻ وكتبِه ورسلِه وملائكتِه واليومِ الآخِر، وفيه أساليب الترغيب بالجنة والترهيب من النار، التي قال فيها جلَّ مَنْ قائل: ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾[72]. وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ

[70] قرآن كريم، سورة إبراهيم، آية 4.

[71] جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، (1931م)، القاضي أبو بكر الباقلاني، الاتقان في علوم القرآن، المكتبة الثقافية بيروت، ص 113.

[72] قرآن كريم، سورة النساء، آية 69.

مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [73].

وقال تعالى: ﴿**يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ**﴾ [74]. وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحاً فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [75]. وقال تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ [76].

طريقة نزول القرآن

إن القرآن العظيم بجماله وكماله وخصوصيته لم ينزل جملةً واحدة ككتب الله السماوية الأخرى التي أنزلها على موسى وعيسى عليهما السلام، وإنما نزل منجماً في أوقاتٍ مختلفة. وقد قال الله تبارك وتعالى في ذلك: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلاً**﴾ [77]. وقال المفسرون في عبارة نزلناه تنزيلا بمعنى فصَّلناه ولم نُنْزِله جُملةً واحدة. وجاء التبرير من خلال الرد على الكفار في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ**

---

[73] قرآن كريم، سورة النحل، آية 97.

[74] قرآن كريم، سورة الزخرف، آية 68.

[75] قرآن كريم، سورة المائدة، آية 69.

[76] قرآن كريم، سورة الأعراف، آية 158.

[77] قرآن كريم، سورة الإنسان، آية 23.

تَرْتِيلاً﴾ [78]. وبالطبع فإن كلام الكفار هذا قد انبنى على الصورة التي نزلت بها الأديان السماوية السابقة فقالوا لولا أي هلا نزل عليه القرآن جملةً واحدةً كالتوراة والإنجيل والزبور، فردَّ عليهم الحق تبارك وتعالى بأنَّا نزلناه كذلك أي مُتفرقاً لكي نثبت به فؤادك يا محمد ونقوي به قلبك ورتلناه ترتيلا أي أتينا به شيئاً فشيئاً بِتَمَهُلٍ وتُؤَدة لِتَيسير أمرِ فهمِه وحفظِه لدى عامة الناس.

وقد يتوهم البعضُ من ظاهر بعض الآياتِ أنَّ القرآنَ قد نزل جملةً واحدة كما في قوله تعالى: **﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾** [79]. أو في قوله تعالى: **﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾** [80]. أو حتى قوله تعالى: **﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** [81].

ومَنْ يقرأُ هذه الآيات الكريمة يشعر أن القرآن قد نزل جملةً واحدة وفي شهر رمضان بالتحديد رغم أنه نزل في رمضان وفي شوال وفي ذي القعدة وفي رجب وشعبان الخ.. فكيف ذلك؟ في واقع الأمر إن القرآن الكريم نزل مرتين، المرة الأولى وهي التي كانت في شهر رمضان المعظم والتي أشارت إليها آية البقرة **﴿شهرُ**

---

[78] قرآن كريم، سورة الفرقان، آية 32.

[79] قرآن كريم، سورة الدخان، آية 3.

[80] قرآن كريم، سورة القدر، آية 1.

[81] قرآن كريم، سورة البقرة، آية 185.

رمضانَ الذي أُنزلَ فيه القرآنُ﴾ حيث نزل القرآن جملةً واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، وكان ذلك في ليلةِ القدر. وليلةُ القدرِ كما قال العلماءُ والفُقهاء تأتي في العشرِ ليالٍ الأخيرة من شهر رمضان، ولذا كانت إشارة القرآن: ﴿**إنا أنزلناه في ليلة القدر**﴾ أي كل القرآن أنزلناه جملةً واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا.

وقيل إنه قد نزل في هذه الليلة من أم الكتاب من السماء السابعة إلى السماء الدنيا. ولذلك عندما ورد ذكر ليلة القدر هنا قال المفسرون إنها تعني ليلة الشرف العظيم. كما ورد في مضمون هذه الآية الكريمة ﴿**إنا أنزلناه في ليلةٍ مُباركة**﴾ أنها تعني ليلة القدر أو ليلة النصف من شعبان، والله أعلم.

معجزة القرآن الكريم العلمية

المعجزة هي الأمر الخارق للعادة والطرق والسنن المألوفة للبشر، ويُقال أعجزه الشئ أي لم يقدر عليه، وعجز بمعنى قصر كما نقول عجز عن الشئ أي لم يستطِع، وهي تعني القدرة في النهاية. من هنا كان مبدأ الإعجاز اللفظي في القرآن الكريم كرسالة سماوية من مصدرٍ إلهي إلى متلقين من البشر ليست لهم قدسية السماء أو أي شكلٍ من أشكال العصمة.

ولذلك أتى بلسانٍ البشر وبالتحديد العرب الذين عاشوا ردحاً من الزمان في ظل الجاهليةِ التي أثرت على تفكيرهم وأنماط حياتهم، وفرضت عليهم عبادة الأوثان. كما أنهم أميون وضالون كما وصفهم القرآن إبَّانَ تلك الجاهلية: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ**

وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[82]. وقد تحداهم القرآنُ أن يأتوا بسورة من مثله رغم أنهم هم أصحاب اللغة نفسها حيث قال تعالى: **﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾**[83]. وقال تعالى: **﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾**[84].

ولعلَّ سبب هذا التحدي هو تنطع البعض بأنهم قادرون على أن يقولوا مثل هذا القرآن لأنهم أهل فصاحة وشعراء وبارعون في فن الخطابة. ولكنهم ما دروا أن هذا القرآن ليس قول شعراء ولا كهنة ولا خطباء وإنما له أسلوبه الألهي المتميز ورويه ونسقه المعجز في ذاته.

ولذلك كان التحدي قوياً وقاطعاً فلم يتمكن أحدٌ من الإتيان بمثله رغم أنهم حاولوا. هذه هي ناحية البيان واللغة، وقد عجز من يملكون ناصيتها من عرب الجاهلية المشهود لهم بذلك عن مجاراة القرآن، فلما علموا بذلك وأيقنوه صاروا يصدون عن رسول الله ﷺ ويمنعون الناس من سماع القرآن ليقينهم بأنه معجز وبه بلاغةٌ تجذب السامعين إليه، وأسلوبٌ يسر من يتلقاهُ، وحجةٌ تُقنعُ كُلَّ ذي بصيرةٍ نافذة لا يسعه إلا الإيمانُ بها والتسليمُ لها.

أما في الجانب العلمي -ونعني به العلوم الإنسانية الحديثة بنظرياتها وتطبيقاتها المادية والمعملية وتجاربها الحديثة- فقد أشار القرآن الكريم في كثير من

---

[82] قرآن كريم، سورة الجمعة، آية 2.

[83] قرآن كريم، سورة البقرة، آية 23.

[84] قرآن كريم، سورة الإسراء، آية 88.

آياته إلى أبواب العلوم المعروفة الآن. وما من علمٍ أدركه البشر الآن إلا ووجدت آية من القرآن تشير إليه أو تتحدث عنه. بل إن هناك تفاصيل علمية دقيقة وصل إليها الإنسان حديثاً وهي قديمة وموجودة في القرآن الكريم. وهنا يظهر سؤال ويلح إذا كان القرآن الكريم يحوي كل الجوانب العلمية وبه مفاتيح كل العلوم فلماذا الحديث عن تخلف ديار المسلمين وبحثهم عن مُوافقة دينهم للعلوم الحديثة فيما عُرف بين الناس بالإعجاز العلمي للقرآن الكريم؟

إن الجواب يقول إن القرآن الكريم جاء كمعجزة للنبي الخاتم محمد بن عبد الله ﷺ ومعجزة شاملة للبشرية من كل وجوهها. وربما كانت هناك جوانب للإعجاز القرآني لم تزل خافيةً على الناس. ومن الناحية التاريخية معروفٌ أن العرب الأوائل قد أيقنوا بإعجاز القرآن العلمي وأسلموا له قيادهم في ثقةٍ تامة وإذعانٍ كامل رغم وجود من أنكروا ذلك.

ووسط هذا الإعجاز تحدث العديد من العلماء المحدثين ومنهم الشيخ الزنداني والدكتور مصطفى محمود والشيخ القبيسي والشيخ محمد متولي الشعراوي والشيخ عبد الحميد كشك عن جوانب أخرى من إعجاز القرآن الكريم برزت لكلٍ منهم من خلال اجتهاده في فهم الآيات الكريمة معتمدين على أن الرسالة الخاتمة هي رسالةٌ مستمرة إلى قيام الساعة، ولذلك لاتنقضي معجزاتها بسنوات الإسلام الأولى وإنما تبقى هذه الخاصية إلى أن يرث اللهُ الأرض ومن عليها.

ولا بد هنا من الاعتراف بموافقة كثير من علوم العصر الحديث للقرآن الكريم، مما يؤكد أن معجزة القرآن باقيةٌ وخالدة إلى قيام الساعة. ولهذا السبب دعا كثيرٌ من الباحثين والعلماء إلى استصحاب هذا الأسلوب من موافقة العلوم للقرآن

الكريم كأحد أساليب الدعوة لأن ذلك يؤدي لإقناع العلماء والمتنورين من غير المسلمين وهدايتهم للإسلام. وهذا ما فعله عددٌ من الدعاة المسلمين كالشيخ الراحل أحمد ديدات والشيخ عبد المجيد عبد العزيز الزنداني خصوصاً في مناظرات أحمد ديدات مع القساوسة والرهبان الذين بهرهم بقوة حجته مما أدى لدحض كل الحجج التي ساقوها له من خلال آيات القرآن الكريم.

وإذا أيقنا أن المعجزة باقيةٌ أبد الدهر فلا بد لنا أن ندرك أن قصور فهم المسلمين لها هو المشكلة التي تواجه الكثيرين في واقعنا المعاصر. ورغم أن هناك نماذج عديدة لموافقات العلوم المعاصرة لآيات القرآن الكريم والتي كان يمكنها أن تكون معبراً للتفكر والنظر والعبادة وتعظيم الخالق جلَّ وعلا إلا أن جهل الناس كثيراً ما حجب بصيرتهم عن ذلك.

ولعل هذا يتسق مع قوله تعالى في آيات سورة الروم الواضحة الجلية: ﴿**وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ * أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ * أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُون**﴾ [85]. ووسط هذه الغفلة العلمية التي أشار إليها الحقُ عزَّ وجل في هذه الآيات ظل الناس

---

85 قرآن كريم، سورة الروم، آيات 6، 7، 8، 9، 10.

جاهلين الكثير ولا يدركون غير اليسير مما كان ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حيث فاتهم على سبيل المثال تدبر المعنى العميق لخلق كل الكائنات الحية من الماء: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**﴾ [86].

كما فاتهم أيضاً التدبر في طبائع المخلوقات: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاء إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [87]. وأصل خلق الإنسان الذي ورد في سورة المرسلات: ﴿**أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاء مَّهِينٍ**﴾ [88].

ويجيء هذا التجافي مع إعجاز القرآن والعلم يثبت لنا بجلاء أن الماء هو سر الحياة في كوكبنا الأرضي. بل إنَّ علماءنا قد أصبحوا يستدلون على وجود الحياة في الكواكب الأخرى بوجود الماء الذي يمثل جزءاً من تركيبة كل الأحياء ومنها 60% من الإنسان. ألا يدعونا هذا للتدبر في كلام الله سبحانه حين أشار في سورة الزمر بقوله: ﴿**خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ**﴾ [89].

وفي سورة الحج أيضاً جاء حديثه تعالى متحدياً ولافتاً الانتباه إلى حقيقة واقعةٍ أخرى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن**

---

[86] قرآن كريم، سورة الأنبياء، آية 30.

[87] قرآن كريم، سورة النور، آية 45.

[88] قرآن كريم، سورة المرسلات، آية 20.

[89] قرآن كريم، سورة الزمر، آية 6.

تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[90]. وقد أثبت العلم الحديثُ أن الظلمات المذكورة في الآية الأولى هي بالفعل ظلماتٌ ثلاث تتمثل في الأغشية الثلاثة داخل البطن والمشيمة والتي تحفظ الجنين في داخلها حتى يخرج للحياة إنساناً سويا.

وقال العلماءُ إنه إذا أعيد الجنين إليها بعد ثانية من خروجه منها فإنه سيموت من عدم مقدرته على التكيف والبقاء بها بعد ذلك. وعلم الأجنة الحديث أثبت أشياء كثيرة مما أوردته الآية الثانية من تطور الجنين من نطفة إلى علقة إلى مضغة غير مخلقة ثم مخلقة تظهر أعضاؤها تدريجياً لتستوي بعد ذلك وتصير طفلاً كامل الهيئة يخرج للوجود في أحسن تقويم.

وإذا تحدثنا عن الحياة ذاتها نجد أن جميع الأحياء تتكون من خلايا تجمعها الأعضاء المختلفة في الجسم الواحد إلا أننا إذا نظرنا إلى مايتم الآن من نقل وزراعة الأعضاء يتضح أن حياة الكائن غير حياة أعضائه، فيمكن أخذ قلب رجلٍ محتضر وزرعه في صدر رجل حي يمشي بين الناس فيعيش به إلى ما يشاء الله له من عمر، مما يعني أن حياة القلب المزروع غير حياة الرجل الميت الذي نُزع قلبُه ليعمل في جوف رجل آخر حي، أفلا يدل هذا على أن حياة الإنسان غير حياة أعضائه المختلفة المكونة له؟ ثم إن الروح التي تجمع حياة الأعضاء كلها ليحيا بها الإنسان بعد ذلك كجسد كامل هي من أمر الله عز وجل الذي عجز العلم الحديث عن فهمه، وقد أكد القرآن الكريم ذلك من قبل حين جاء قوله تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ**

[90] قرآن كريم، سورة الحج، آية 5.

عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [91]. وعجز العلم الحديث فعلاً عن تفسير معنى الروح وكيف تحيا بها جميع الكائنات رغم تطور تجارب علم الوراثة والجينات والاستنساخ.

ويمكن للعلماء اليوم تحديد الصفات الوراثية للكائنات وأشكالها وأحجامها وألوانها وصفاتها التفصيلية، بل ويمكن نسخها بنفس الصفات حيث تم تطبيق ذلك في النباتات من خلال ما سُمي بتقنية التقاوى الزراعية وأيضاً في الحيوانات والطيور فطُورت أبقار للبن وأخرى للحم ودجاج للبيض وغير ذلك إلا أنه لم يمكن بث الروح في أي كائن أو إعادة خلقه من جديد؟

يقول الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾** [92].

وخلاصة الأمر أن أسلوب مطابقة العلوم الطبيعية والتطبيقية للقرآن الكريم يُعتبرُ باباً واسعاً من أبواب العمل الدعوي. وقد قدم فيه مجموعة من الدعاة نماذج جيدة أسلم بها عدد من العلماء البارزين في القضاء، وهو باب الإتصال النوعي المرتبط بأصول الإسلام مباشرة بل بأقوى أصلٍ فيه، ويمكن ربطه مباشرة بوسائل الإتصال الحديثة التي طورتها علوم الغرب الحديثة من أقمار للإتصال الفضائي والحاسوب الذي يعتبر أساس الإتصال الحديث المتطور الذي يتجلى في أبرز صوره في شبكة الإتصالات العنكبوتية Internet التي هي تجميع لكل شبكات الإتصال

---

[91] قرآن كريم، سورة الإسراء، آية 85.

[92] قرآن كريم، سورة الحج، آية 73.

في العالم وجماع لكل وسائل الإتصال الحديثة من صحف ومجلات وإذاعات وبث فضائي وخلافه. ولو استحدث المسلمون الآن طرقاً لدراسة هذا الأسلوب من الاتصال العلمي المعجز وخلصوا منها لوضع منهج علمي مقنن لاستطاعوا دون أدنى شك أن ينفذوا إلى جوهر العلوم الموجودة الآن من خلال علمائها، وردوها رداً جميلاً للالتزام بضوابط القرآن ونواميس الكون الرحيب التي وضعها الله عز وجل لجميع الكائنات المنتظمة في مواكب الحمد والتسبيح لله الواحد القهار.

ويكون ذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً**﴾ [93].

خصائص القرآن الكريم

هو كلام الله عز وجل المنزل على رسوله محمد بن عبد الله النبي العربي الأمي ﷺ بلسانٍ عربي مبين، وهو المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المحفوظ بين دفتي المصحف، المبدوء بالفاتحة والمختوم بالناس. وخصائصه هي:

1. **الربانية**: أي أنَّ مصدره هو الله عز وجل، وأنزله إلى نبيه محمد ﷺ عن طريق أمين الوحي الموكل به الملك جبريل عليه السلام. وقد ورد في ذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [94].

---

[93] قرآن كريم، سورة الإسراء، آية 44.

[94] قرآن كريم، سورة الشعراء، آية 192.

2. **الكمال**: وهو خلو القرآن من أي نقص أو شوائب تقدحُ في حقيقته. حيث إنه جاء شاملاً كاملاً جامعاً مانعاً بفضل الله تعالى الذي أشار إلى ذلك بقوله: ﴿**مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**﴾ [95].

3. **الوضوح والإبانة**: حيث إن آياته واضحة وبينة تكامل نصها وبناؤها على أفضل نسق لا يجد الإنسان الحصيف المجتهد عناءاً في الاطلاعِ عليه أو قراءته بشكله الطبيعي. حيث قال الله تعالى: ﴿**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**﴾ [96].

4. **الشمول والاحاطة**: وهو في هذا السياق موضوعيٌ لأنه جاء لكل بني الإنسان، ويشمل الخلق القديم والجديد عبر تعاقب الأزمنة والأمكنة. ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [97].

5. **التوازن والانسجام بين أجزائه**: بمعنى أنه لا خلاف ولا تناقض بين آياته أو أجزائه. وهو في ذلك يمثل الكمال الفكري الذي لا يتأتى لقول البشر. ومهما حاول الناس بغرضٍ أو بدون غرض لا يجدون فيه اختلافاً بين الأحكام أو الرؤى أو

---

[95] قرآن كريم، سورة الأنعام، آية 38.

[96] قرآن كريم، سورة الشعراء، آية 195.

[97] قرآن كريم، سورة سبأ، آية 28.

الأوامر والنواهي. ولذا قال عنه سبحانه وتعالى: ﴿**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً**﴾ [98].

6. **العملية**: إن القرآن هو الدين الوحيد الذي يصلح لكل زمانٍ ومكان بما فيه من واقعية واتساق مع طبيعة الإنسان ومراد الله ﷻ منه.

7. **الإعجاز**: هو إتيانه بما لا يستطيعه الأولون ولا الآخرون، ثم إظهاره لعجز البشر في تقليده أو محاكاته أو الإتيان ولو بآيةٍ من مثله. ﴿**وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [99].

8. **الثبوت القطعي**: حيث إن القرآن ثابت يقيناً وقطعاً لا يغيره أحد ولا يتردد في إعطاء الأحكام. وهو يفصل بين الحق والباطل، وقد قال فيه تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ**﴾ [100].

9. **الحفظ والسلامة**: حيث تعهد الحق عز وجل بحفظه من التحريف أو التغيير. وهذا التعهد يشمل كل آياته التي سلمت على مر العصور من التحريف أو الزيادة

---

[98] قرآن كريم، سورة النساء، آية 82.

[99] قرآن كريم، سورة البقرة، آية 23.

[100] قرآن كريم، سورة الطارق، آية 13.

أو النقصان، حيث ثبت ذلك جلياً في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [101].

نموذج لعناصر الاتصال الرباني

Channel (Medium) القناة

الرسالة (القرآن الكريم) Message

المرسل (المصدر)
Source
Sender
الله جلَّ جلاله
(S)

المتلقي (المستقبل)
Receiver
Recipient
محمد + الإنس والجن
(R)

التغذية الراجعة Feedback

التشويش (الكفر+ النفاق+ عدم الامتثال)

إنَّ عناصر الاتصال في النموذج السابق تتسق مع الكيفية التي قدمها القرآن الكريم وهو يستعرض أخبار الأنبياء والمرسلين ومواقف أقوامهم ومضمون دعوتهم وطرق الإقناع والتأثير التي استخدمها. وما قدمه لنا القرآن الكريم ظل سجلاً خالداً لحركة الدعوة [102] في كل مراحلها وعناصرها التي أوضحت طبيعة الإرسال والتلقي.

---

[101] قرآن كريم، سورة الحجر، آية 9.

[102] سيد قطب، (1978م)، دعوة الإسلام، دار الفكر العربي، بيروت، ص 224.

والحقُ عزَّ وجلَّ اتصل برسله عن طريق رسائل اتصالية أخبر عنها القرآن الكريم في قصص الأنبياء والمرسلين، وبعض هؤلاء الأنبياء محمد ﷺ، وآدم، وعيسى، وسليمان، وداؤد، ويحيى، وصالح، وموسى، وإبراهيم عليهم السلام. وفي قصة إبراهيم الخليل عليه السلام اتصال بالله حيث سأل الله فأجابه سبحانه، وجاء خبره في الآية الكريمة: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[103].

وقد أجابه الحق عز وجل إلى ما سأل، فأمره أن يصر إليه أربعة من الطير اختلف المفسرون في تعيينها على أقوال، والمقصود حاصل على كل تقدير فأمره أن يمزق لحومها وريشها ويخلط ذلك بعضه في بعض ثم يقسمه قسماً ويجعل على كل جبل منها جزءاً ففعل ما أمره الله به، ثم أمره أن يدعوهن بإذن ربه فلما دعاهن جعل كل عضو يطير إلى صاحبه وكل ريشة تأتي إلى أختها حتى اجتمع بدن كل طائر على ما كان عليه وهو ينظر إلى قدرة الذي يقول للشئ كن فيكون، فأتين إليه سعياً ليكون أبين وأوضح للمشاهدة بدلاً من أن يأتين طيراناً. ويقال إنه أُمِرَ أن يأخذ رؤسهن في يده فجعل كل طائر يأتي فيلق رأسه فيتركب على جثته كما كان.

وقد كان إبراهيم عليه السلام يعلم تمام العلم قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، ولم يكن علمه يحتمل النقيض إلا أنه أراد أن يشاهد ذلك عياناً ويترقى من علم اليقين إلى عين اليقين فأجابه الله إلى سؤاله وأعطاه مَأملَهُ. لقد اختاره الله لنفسه واصطفاه

---

[103] قرآن كريم، سورة البقرة، آية 260.

لرسالته واتخذه خليلاً وجمع له خير الدنيا والآخرة حيث قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً**﴾ [104]. وقد ذكره الله تعالى في كتابه الكريم في أكثر من موضع بالثناء عليه والمدح له فقيل إنه ذُكر في خَمسةٍ وثلاثين موضعاً منها خمسة عشر في سورة البقرة وحدها [105].

وهذه رسالة اتصالية أخرى أخبرنا عنها القرآن الكريم عن قصة سيدنا موسى عليه السلام، حيث جاء في محكم التنزيل: ﴿**فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي مِن شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ * اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ**﴾ [106].

اشتاق موسى عليه السلام إلى أهله فقصد زيارتهم في أرض مصر في صورة مختف فلما سار بأهله ومعه ولدان منهم وغنم قد استفادها مدة إقامته قالوا كان ذلك في ليلةٍ مظلمة باردة وتاهوا في طريقهم، فأبصر ناراً في جانب الطور فقال لأهله امكثوا

---

[104] قرآن كريم، سورة النساء، آية 125.

[105] الإمام عماد الدين أبي الفداء، جمع وإعداد وترتيب أحمد بن شعبان بن أحمد، مكتبة الصفا.

[106] قرآن كريم، سورة القصص، آيات 29، 32.

إني آنست ناراً وكأنه رآها دونهم لأن هذه النار هي نور في الحقيقة ولا تصح رؤيتها لكل إنسان. واستعلم من عندها عن الطريق وقد أتاهم منها بخبر واقتبس منها نوراً. وقال بعضُ المفسرين لما قصد موسى إلى تلك النار كانت تلك الشجرة خلف جبلٍ قريب منه وعن يمينه، وكان موسى في وادٍ اسمه طُوَى، وكان يستقبل القبلة وتلك الشجرة عن يمينه من ناحية الغرب فناداه ربه بالوادِ المقدس طُوَى، فأمره أولاً أن يقوم بخلع نعليه، وذلك تعظيماً وتكريماً وتوقيراً لتلك البقعة المباركة ولا سيما أنه كان في ليلةٍ مُباركة.

وعند أهل الكتاب أنه وضع يده على وجهه من شدة ذلك النور مهابةً له وخوفاً على بصره ثم خاطبه الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿**أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [107]. وقال تعالى: ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي**﴾ [108] ثم أخبر أن هذه الدنيا ليست بدار قرار لأي كائن وإنما الدار الباقية يوم القيامة التي لابد من كونها ووجودها قال تعالى: ﴿**لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى**﴾ [109].

ثم قال له مخاطباً ومؤنساً ومبيناً أنه القادر على كل شئ الذي يقول للشئ كن فيكون: ﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى**﴾ [110] أي ما هذه العصا؟ فأجاب بأنها عصاه التي يعرفها منذ زمنٍ وهو متحققٌ من طبيعتها وشكلها ودورها في حياته، ولكن رغم ذلك يأمره اللهُ تبارك وتعالى أن يُلْقِيها لتتحول من تلك الطبيعة إلى كائنٍ

---

[107] قرآن كريم، سورة القصص، آية 30.

[108] قرآن كريم، سورة طه، آية 14.

[109] قرآن كريم، سورة طه، آية 15.

[110] قرآن كريم، سورة طه، آية 17.

حي: ﴿**فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى**﴾ [111] فضرب موسى من قدامها فأمره الله عز وجل أن يبسط يده ويأخذها من ذَنَبِها فلما تمكن منها ارتدت عصاً كما كانت أول أمرها.

وأمره الله ﷻ أن يُدخلَ يده في جيبه لتخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات بينات كما جاء في الآية الكريمة: ﴿**وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ**﴾ [112]. إنَّ هاتين الآيتين وهما العصا واليد هما البرهانان المشار إليهما (فذانك برهانان) حين قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَونُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً**﴾ [113].

ولقد أمر الله ﷻ موسى بالذهاب إلى فرعون فقال له موسى أرسل معي أخي هارون اجعله معيناً ووزيراً يساعدني ويعينني على أداء رسالتك إليهم فإنه أفضل للمخاطبة وأفصح مني لساناً وأبلغ بياناً قال تعالى مجيباً سؤله: ﴿**قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ**﴾ [114]. وقال تعالى: ﴿**اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى* قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي* وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي*يَفْقَهُوا قَوْلِي**﴾ [115].

---

[111] قرآن كريم، سورة طه، آية 20.

[112] قرآن كريم، سورة النمل، آية 12.

[113] قرآن كريم، سورة الإسراء، آية 101.

[114] قرآن كريم، سورة القصص، آية 35.

[115] قرآن كريم، سورة طه، آيات 28،25.

والرسل إنما يسألون بحسب الحاجة [116]. أما سيدنا محمد ﷺ فقد كان أول ما بدأ به الرؤية الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا وجاءت كما هي. ثم حُببَ إليه الخلاءُ فكان يأتي إلى غار حراء فيتعبد فيه الليالي ذات العدد، ثم يرجع إلى زوجه خديجة بنت خويلد رضي اللهُ عنها فيتزود لمثلها حتى فاجأه الوحي وهو في غار حراء يعيشُ في سكونٍ وأمنٍ لا تشوبه حركة المارة ولا ضوضاء المدينة التي تركها وراءه وجاء إلى هذا المكان.

وعندما ظهر له الملك جبريل عليه السلام قال له: إقرأ، فقال له محمد: ما أنا بقارئ [117]، وكرر له العبارة ثانية وثالثة حتى بلغ منه الجهد ثم قال له: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقرأ وربُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * علم الإنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ [118].

ورجع محمدٌ ترتجف أوصاله حتى دخل على زوجه خديجة بنت خويلد وكانت هذه رسالة اتصالية أصدرها الله سبحانه وتعالى في أول نزول آيات القرآن الكريم عن طريق أمين الوحي جبريل عليه السلام. وكان مستقبل الرسالة هو سيدنا محمد ﷺ في بداية عهده بالوحي ونزول آيات الذكر الحكيم. وكان الهدف هو توصيل هذه الدعوة لكل الناس في مشارق الأرض ومغاربها ليهتدوا إلى الحق وإلى الصراط المستقيم الذي أراده الله سبحانه وتعالى لهم.

---

116 محمد سالم إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير ابن كثير، ص ص 190- 194.

117 الشيخ محمد، (1983م)، مختصر تفسير بن كثير، المجلد الثاني، دار المعرفة، بيروت.

118 قرآن كريم، سورة العلق، آيات 1، 2، 3، 4.

الاتصال الذاتي

نجد المستقبل في النموذج الأول يتحول إلى مرسل الرسالة الإعلامية هنا وعلى هذا المستوى تتأكد حقيقة سبق بها الإسلام العالم الأمريكي ويلبر شرام Wilber Schram بأربعة عشر قرناً وهي أن من يشترك في عملية الاتصال لا يكون دائماً مرسلاً أو مستقبلاً فقط بل قد يقوم بكلا الوظيفتين معاً فيكون مرسلاً ومستقبلاً، فهو يستقبل الرسالة الإعلامية ثم يقوم بعملية وضع الفكرة في شفرة Code أو رمز ثم يفك ما يتلقاه. ومستقبلو الرسالة هنا ليس لهم أن يعدلوا أو يحرفوا الرسالة الإعلامية مهما كان.

وإذا كان مستقبل الرسالة الإعلامية على مستوى النموذج الأول ليس سوى مجرد ناقل فقط للأسس والمبادئ الإسلامية دون أي تدخل منه فإنه يصبح بحكم طريقة إعداده وتكوينه كما قال النبي ﷺ: **(أدبني ربي فأحسن تأديبي)** تحول بحكم الاستيعاب الكامل للدعوة قولاً وعملاً وسلوكاً. ويكون بحكم رعاية الله ﷻ له في كل أحواله مصدراً ثانياً للدعوة، حيث أكد القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: **﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾** [119].

وتعتبر كل كلمة منه وكل حركة أو فعل أصلاً أساسياً للتشريع يجب اتباعه والاقتداء به كما جاء في قوله تعالى: **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾** [120]. أما الدعاةُ الآخرون الذين استقوا من النبع الأول فقد كان كل اجتهادهم أو تصرفهم أو تفسيرهم

---

[119] قرآن كريم، سورة النجم، آية 3.

[120] قرآن كريم، سورة الأحزاب، آية 21.

للرسالة الإعلامية محكوماً بالتزام الأسس والمبادئ الإسلامية. وأي خروجٍ عنها يعرضها لرفض الجمهور[121]. وسواء كان الفرد يتأمل ويفكر أي يقوم بعملية اتصال ذاتي أو يتصل بالآخرين فإن هذه العملية العقلية التي تحدث بين التعرض لمنبه واتخاذ القرار أو الاستجابة واحدة سواء بالنسبة للفرد الذي يرسل الرسالة أو المستقبل الذي يستقبلها. ويمكن تحليل هذه العملية من خلال خمسة عناصر هي:

1/ في البداية يتعرض الفرد لمنبه ما يفترض وجود خمسة منبهات، المنبهات هي: 1/ داخلية، 2/ طبيعية، 3/ اجتماعية، 4/ تنظيمية، 5/ معنوية.

2/ يستقبل الفرد هذه المنبهات عن طريق أدوات الحس المختلفة، وهي الحواس الخمس المعروفة، ويضيف إليها البصيرة بالنسبة لاستقبال المنبهات المعنوية.

3/ تنتقل هذه المنبهات عن طريق الأعصاب إلى المخ الذي يقوم بحل رموز الرسالة عن طريق إدراك الفرد للمنبه، وذلك على ضوء المعلومات المختزنة لديه والاتجاهات السابقة والبيئة المادية والاجتماعية والتركيب الفسيولوجي والدوافع والجزاء والرغبات والاحتياجات والأهداف وتجارب الفرد وخبراته وثقافته والحالة الذهنية والمزاجية والتوقيع والدور الاجتماعي وظرف تلقي المنبه أو الفكرة ذاتها. وعلى ضوء ذلك يتخذ الفرد قراراً مبدئياً بأحد الاعتقادات الثلاثة وهي: انتقاء التعرض، وانتقاء الإدراك، وانتقاء التذكر.

---

121 محمد منير حجاب، الإسلام المبادئ – النظرية – التطبيق، ص 161.

4/ يبدأ الفرد بعد ذلك في التفكير في الاستجابة المناسبة للمنبه.

5/ عندما ينتهي الفرد من اتخاذ القرار يقوم بعملية وضع الشفرة Code ويكون القرار أحد ثلاثة أشكال هي: 1/ فعلاً، 2/ رايأً، 3/ مشاعر.

6/ الاستجابة الناشئة، ومن الممكن أن تكون منبهاً لفرد آخر أو منبهاً لاستجابةٍ أخرى، أي يحدث ما يسمى برجع الصدى. ويستمر تتابع هذه الخطوات وراء بعضها مسجلة ما يحدث داخل الفرد سواء وهو يتأمل أو يفكر أثناء عملية الاتصال الذاتي أو الاتصال بالآخرين [122].

7/ إذا تكرر تعرض الفرد لنفس المنبه وتكررت نفس الاستجابة كان هناك ما يسمى بالتعلم، وإلا تعرض الفرد لنسيان الاستجابة. وتوجد عوامل تساعد على تدعيم عملية التعلم مثل الحفظ، والتكرار، والجاذبية، والمشاركة.

وهناك مثال من القرآن الكريم يسجل تتابع هذه الخطوات ورد ذكره في معرض قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام في حالة بحثه وتأمله ومحاولاته للوصول إلى إلهٍ قوي يقبله العقل السليم كخالق لهذا الكون حيث قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى**

[122] المصدر السابق، ص 95.

كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * لَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـذَا رَبِّي هَـذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [123].

وعندما نستعرض هذه العمليات العقلية على ضوء التطور السابق نجد أن سيدنا إبراهيم عليه السلام تعرض لمنبهٍ استقبله بواسطة حاسة البصر، ثم ترجم الصورة التي استقبلها في مجال إهلاكه على ضوء اتجاهاتها السابقة عن طبيعة الإله الخالق للكون، وعلى ضوء ثقافته.

ثم تداخلت العوامل الأخرى مثل المعتقدات الدينية لدى معاصريه وتجاربه وخبراته السابقة وتوقعاته والدور الاجتماعي للداعية ومركزه الاجتماعي وهدفه ودوافعه والجزاء الذي ينتظره في حل هذه المشكلة المتمثل في الاستقرار النفسي، حيث نجده يتخذ القرار مبتدئاً باختيار التعرض للمنبه، ثم بعد ذلك يبدأ البحث عن الأسس المنطقية التي من الممكن أن تجعل من هذا النجم الأحمر إلهاً.

وكانت النتيجة هي الاعتراف بربوبيته. إلا أنه لم يتوقف عن متابعة هذا المنبه، وعندما وجده غارباً والإله لا يمكن أن يغرب تأكد أنه ليس إلهاً، فتحول تلقائياً للبحث عن مُنبهٍ آخر، ووجد ضالته في القمر، ثم بعد ذلك تحول إلى الشمس وهكذا حتى انتهى به الأمر إلى النتيجة التي ذكرها القرآن الكريم في قوله

---

[123] قرآن كريم، سورة الأنعام، آيات 75_79.

تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [124].

أجهزة استقبال المنبهات

لا قيمة للمعلومات والمنبهات المحيطة بالفرد مالم تتم الاستفادة منها، ومن ثم تُعتبر أدوات استقبال المعلومات شيئاً أساسياً بالنسبة للفرد. وتتركز عملية استقبال المعلومات في عدد من الأعضاء هي: السمع، البصر، اللمس، الشم، الذوق، والبصيرة. وتختص هذه الأجهزة باستقبال المعلومات عن التغيرات التي تحدث في المناخ المحيط بالإنسان وإعادة إرسالها إلى أجهزة التحليل والتعامل مع هذه المعلومات [125].

السمع والبصر

يمثل وسيلة أساسية للحصول على المنبهات الخارجية. وتزيد أهميته عند الإبصار في المواقف التي تتوافر فيها الظروف المناسبة للإبصار السليم. وتتم عملية السمع نتيجة التغيرات المادية في ضغط الهواء الناتج من اهتزاز الأجسام، فينتقل الهواء في شكل موجات تسجيل الأذن وتجعل الإنسان متهيئاً لاستقباله. أما البصر فإنه يعتبر وسيلةً في غاية الأهمية لأن هناك جانباً كبيراً من المعلومات يستقبلها الإنسان من خلال هذه الحاسة. والعين عبارة عن جهاز في غاية الدقة والتعقيد.

---

[124] قرآن كريم، سورة الأنعام، آية 79.

[125] عبد العزيز القوص، أسس الصحافة النفسية، ص62.

وفي الظروف العادية تستطيع العين رؤية نورٍ خافت على بعد 50 ميلاً كما يمكنها رؤية ثقب الإبرة الصغيرة وغير ذلك مما يدق من الكائنات والمخلوقات. ولا تستطيع عين الإنسان استقبال كل ما ينعكس من المحسوسات الصادرة إليها بل تستقبل جزءاً من تلك الطاقة التي تنتقل في شكل موجات متباينة الأطوال. يقول تعالى: ﴿**قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ**﴾ [126]. وقال تعالى: ﴿**مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ**﴾ [127].

البصيرة

وتعتبر البصيرة من أهم مصادر المعلومات التي تنقسم إلى قسمين هما: (أ) المعارف التعليمية، (ب) المعارف الإلهامية. وتعتبر البصيرة الوسيلة الرئيسية والوحيدة للحصول على هذا النوع من المعلومات[128] وجاءت الإشارة إليها في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ**﴾ [129]. ويقول أيضاً: ﴿**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾ [130]. كما جاء قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ**

---

[126] قرآن كريم، سورة يونس، آية 31.

[127] قرآن كريم، سورة هود، آية 20.

[128] علي السلمي، مرجع سابق، ص 71.

[129] قرآن كريم، سورة السجدة، آية 9.

[130] قرآن كريم، سورة الإسراء، آية 36.

الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾[131]. وقال في سورة السجدة: ﴿**ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ**﴾[132].

هذه الحواس حددت للإنسان مجاله أمامها، حيث يصبح مسئولاً عنها مسئوليةً كاملة. وعن مدى وكيفية استخدامها قال تعالى: ﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾[133]. ولهذا فإن سوء استخدامها يسوي بينه وبين من لا يملكها وذلك وفقاً لقوله تعالى: ﴿**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ**﴾[134].

وإضافةً إلى ما تقدم فإن هذه الأجهزة تشهد على الإنسان يوم القيامة كما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[135].

ومن واجب الإنسان أن يشكر الله ﷻ على أن منحه هذه الأجهزة التي إذا تأملها لوجد فيها إبداعاً ربانياً وإعجازاً لا تحده الحدود. كما عليه أن يتذكر نعمته عليه وقدرته الدائمة على سلبها منه وقتما شاء. وبهذا المفهوم المتكامل يتبين مدى اهتمام الإسلام بالفرد ليستخدم حواسه بالأسلوب الأمثل الذي يجعلها في خدمة الأهداف التي توخاها الشارع الإسلامي.

---

[131] قرآن كريم، سورة المؤمنون، آية 78.

[132] قرآن كريم، سورة السجدة، آية 9.

[133] قرآن كريم، سورة الإسراء، آية 36.

[134] قرآن كريم، سورة البقرة، آية 18.

[135] قرآن كريم، سورة فصلت، آية 21.

أما إذا جئنا للأجهزة الحسية التي تسهم في الإحساس بالأشياء فنجد أن طبقة الجلد التي تغطي كل الجسم تحتوي على أدوات استقبال معلومات تقع على آخر المثيرات، هي الحرارة والبرودة والضغط والألم. وتختص بعض أدوات استقبال الحس في الجلد بكل أنواع المثيرات. وكذلك تعتبر عملية الشم أكثر عمليات الإحساس دقة وتعقيداً، حيث تتم عندما تستثير التكوينات الكيماوية في الهواء أعضاء حس الشم في الأنف لدى الإنسان.

أما عملية التذوق فهي تتعلق باستقبال المعلومات عن جانب خصائص المناخ أو عناصره، ويمكن تقسيم عملية التذوق إلى أربعة أجزاء هي تذوق العناصر الحلوة والعناصر المالحة، والعناصر المرة، والعناصر عديمة الطعم.

آيات الترغيب والترهيب

قال تعالى في مجال الترغيب في الجنة ونعيمها: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ* إلى ربها ناظرة﴾ [136]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [137]. كما أورد في سورة التوبة: ﴿وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [138]. وقال كذلك: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ

[136] قرآن كريم، سورة القيامة، آيات 22، 23.

[137] قرآن كريم، سورة الأعراف، آية 42.

[138] قرآن كريم، سورة التوبة، آية 72.

السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[139]. أما في مجال الترهيب من النار وجحيمها الباقي دون رحمة فقد قال تعالى: **﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾**[140]. وقال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾**[141].

نبوءات المستقبل

أعلن القرآن الكريم عن أحداث ستتم فيما بعد، وقد رآها الناس رؤيا العين كما نزل بها القرآن بالضبط. وهو قد تنبأ بالمواقف الثلاثة لمعارضيه، حيث تحدث في البداية عن موقف المخالف، ثم موقف الميال للتوقف، وأخيراً موقف المعادي. وتابع مراحل مصائرهم على التوالي بحسب كل موقف ومجاعة ورخاء وهزيمة. وأعلن عن الهزيمة التي منيت بها قريش ببدر في العام الثاني من الهجرة وذلك قبل الهجرة بسنوات عديدة، وأخبر أنها ستقع في نفس الوقت الذي ينهزم فيه الفرس من الرومان، وهم من بعد غلبهم سيغلبون في هذه المعركة.

وكان القرآن قد تنبأ بها ولا حاجة إلى ذكر الظروف المخيبة للآمال التي أعلنها القرآن بالرغم من انتصاره القريب على أعدائه، فضلاً عن خلود دعوته على مر الزمان، بل وقيام دولة الإسلام الفتية على الأرض، وعجز كل القُوى عن القضاء عليها، والكلام عن مستقبل الطائفتين الدينيتين السابقتين وعلاقتهما

---

139 قرآن كريم، سورة هود، آية 108.

140 قرآن كريم، سورة الأعراف، آية 41.

141 قرآن كريم، سورة البقرة، آية 39.

المستقبلية، وهي الانشقاق والخلاف إلى يوم القيامة بالنسبة للمسيحية، وتشتت بني إسرائيل في أقطار الأرض، والاضطهاد الذي سيقع عليهم في كل زمان ومكان حتى نهاية العالم، وحاجاتهم الدائمة إلى الحيف، وقيام المسيحية على اليهود إلى يوم القيامة. وهكذا تشترك أحداث الماضي والحاضر والمستقبل حتى تتوافق مع عالم الأفكار وتؤديها [142].

الفرق بين القرآن والحديث القدسي

وإذا كان ما سبق هو حال القرآن الكريم الذي هو كلام الله ﷻ فإن الشق الثاني من كلامه وهو الحديث القدسي ظلّ يرويه النبي ﷺ في سياقٍ ولفظٍ مختلفين. وهو لا شك كلام الله الذي أوحاه إلى نبيه الكريم ﷺ ويُسمى بأسرار الوحي. وقد أورد العلماء عناصر الاختلاف بين كلام الله في القرآن الكريم وكلامه في الحديث القدسي، وذلك على النحو التالي:

الوجه الاول: أن القرآن معجز والحديث ليست معجزاً.

الوجه الثاني: أن الصلاة لا تكون إلا بالقرآن الكريم خلاف الحديث القدسي.

الوجه الثالث: أن جاحد القرآن يكفر، بخلاف جاحد الحديث القدسي.

الوجه الرابع: أن القرآن لابد فيه من كون جبريل عليه السلام واسطة بين النبي ﷺ وبين الله تعالى بخلاف الحديث القدسي.

الوجه الخامس: أن القرآن يجب أن يكون لفظه من الله تعالى.

---

142 محمد عبد الله دراز، (1980م)، مدخل القرآن الكريم -عرض تاريخي وتحليل مقارن- دار القلم الكويت.

الوجه السادس: أن القرآن لا يُمَس إلا بالطهارة أما الحديث القدسي فيجوز مسه من المحدث.

من خلال ما تقدم نلاحظ أن رسالةَ السماء إلى الأرض جاءت من خلال أسلوبٍ متميز تفوق على أساليب البشر العاديين في طبائع اتصالاتهم ببعضهم البعض شكلاً ومضموناً. وهذا التفوق اقتضاه مقام الألوهية الذي يقتضي قدسيةً خاصة تُخْلَعُ دونَها النعلان كما يقولُ العارفون والواصلون.

ولكنَّ الحقَّ عَزَّ وجلَّ اختار لغة الكلام البشري لتكون قناةَ الوصلِ بينَه وبين الخلق. وفي هذا حكمةٌ بالغة راعت طبيعة ضعف الإنسان ومحدوديته التي لا تستوعب غير ذلك. وقد أقرَّ العلماءُ أنَّ الكلامَ المضاف إلى الله ﷻ قد أتى على ثلاثة أوجُه هي:

أولاً: القرآن الكريم، وهو أشرف كلام الله على الإطلاق.

ثانياً: الكتب السماوية التي نزلت على رُسُلِ الله عليهم السلام قبل تحريفها.

ثالثاً: الأحاديث القدسية التي أوصلها إلينا نبي الإسلام محمد بن عبد الله ﷺ.

الغيب المحسوس والترشيد الإخباري

أصطحب المعلم موسى عليه السلام ووضعه منذ البداية أمام فارق مُهم في طبيعة علمه قياساً إلى علم موسى. فعلم موسى خبري كما وصفه الله تعالى في قوله:

﴿**وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً**﴾ [143]. والعلم الخبري هو العلم بالأشياء أو المعلومة الموضوعية. أما علم الرجل فهو علم متعلق ببعض الأمور في حقائقها عن الله ﷻ. وقد جاء أسلوب العبد الصالح في تفهيم موسى أسلوباً ترشيدياً مقيداً إلى المعلومة الخبرية، وأتخذ الرجل أسلوب الترشيد الخبري ونظر لصعوبة اندماج النهجين، حيث كان اشتراط الرجل الصالح على موسى هو الصبر كما في قوله تعالى: ﴿**قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرا**﴾ [144].

وكان الرجل الصالح قادراً على تفسير دوافع موسى عليه السلام وطبيعته البشرية. ثم أضاف إليها اشتراطاً آخر تمثل في عدم سؤاله عن أي شيء إن لم يذكره له، وفي ذلك قال تعالى: ﴿**قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً**﴾ [145].

وقاد المعلم موسى عليه السلام إلى تجاربه الثلاث: في الأولى خرق مركباً، وفي الثانية قتل غلاماً، وفي الثالثة بنى جداراً، فعاتبه موسى عليه السلام على تصرفه في المرات الثلاث. صبر العبد الصالح على موسى عليه السلام ولكنَّ موسى لم يصبر على صبره فجعل التجربة الثالثة حداً بينهما وكان لموسى ما أراد.

والرجل في فعله لم يعبر فيما قاله عن نفسه الخاصة ومزاجه المحدد أو خلجات ذاته الفانية وإنما جعل الأمر كله لله الحي القيوم الذي آمن به وامتثل له وشعر بعظمته في كل لحظةٍ وحينْ. ولذلك جاء تعبيره بشكلٍ واضح في الموقف

---

[143] قرآن كريم، سورة الكهف، آية 68.

[144] قرآن كريم، سورة الكهف، آية 67.

[145] قرآن كريم، سورة الكهف، آية 70.

الذي صوره لنا القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً**﴾ [146].

وإذا وقفنا عند هذا المعنى نلاحظ أمراً مهماً وهو أنَّ ما أحدثه بالسفينة رغم أنه يبدو في ظاهره غيباً إلا أنه في حقيقة الأمر ليس غيباً وإنما كان يحول دون مصادرة ملك من ورائهم للسفينة لما وجد أنها ليست معطوبة وإنما صالحة للعمل كما جاء في قوله تعالى: ﴿**أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً**﴾ [147].

وقيلَ إنَّ هذه السفينة كانت مملوكةً لعشرةِ مساكين كانوا يعملون في البحر على نظام التأجير حيث يأتيهم من يريد سفينتهم ويدفع ما يتم الاتفاقُ عليه فيؤدون له الخدمة التي يريدها وذلك حتى يكسبوا رزقهم، وأراد أن يعيبها وكان وراءهم إذا رجعوا أو أمامهم الآن ملكٌ كافرٌ يأخذ كل سفينةٍ صالحةٍ للعمل غصباً عن مالكها.

إذن في الموقع الثالث تتضح لنا طبيعةُ الغلام الذي لم يكن نفساً ذكيةً رغم أنه صغيرٌ في السن. وبذلك يتأكد أن القاعدة القانونية لمعرفة هذا الأمر لا تعكس الحقيقة دوماً، فهي مقياس موضعي وستكون نتيجة استمرار هذا الغلام في الحياة طغياناً وكفراً على آخرين يتمثلان في الناس إليه وهما أبوه وأمه. وهكذا قتل الغلام

---

[146] قرآن كريم، سورة الكهف، آية 82.

[147] قرآن كريم، سورة الكهف، آية 79.

رحمةً بوالديه المؤمنين، وقد يبدلهما الله خيراً منه زكاةً وأقرب رحماً. أي أنهما قد يعيشان حياةً رغدةً في ظل الإيمان والاستسلام لله الواحد القهار الذي لا يرضى الكفر ولا الجحود لعباده.

الفصل الثالث

الأخبار في
القرآن الكريم

الفصل الثالث

الأخبار في القرآن الكريم

❄❄❄❄❄

كلمة أخبار في اللغةً هي جَمعُ خَبَـرْ، والإخبارُ بكسر الهمزة هو الإعلام بالشيء. وفي مفهوم النحويين هو مايقوم به المتكلم من نقل للخبر إلى الشخص المخَاطَبْ. والخبر هو الحكم الذي يستند إلى المحكوم عليه سواء كان مبتدأ أم في حكمه كأسماء النواسخ بنوعيها. والخبر ثلاثة أنواع هي: 1/ خبر مفرد، 2/ خبر جملة، و 3/ خبر شبه جملة [148].

وجمع كلمة خبر هو أخبار، أما جمع الجمع فهو أخابير [149]. ويُقال تخبره الخبر واستخبرته، والاستخبار والتخبر عن السؤال أو عن الخبر، والخبر هو العلم بالشئ حيث نقول ليس لي به خبر أي ليس لي به علم [150].

وتقول العرب: رجلٌ خابِرٌ وخَبير، أي عالِمٌ بالخَبَر، والخبيرُ هو المخبر. وقال ابن منظور في كتابه لسان العرب: الخبر بالتحريك هو واحد الأخبار، ويقال صَدَّقَ الخبرُ الخبرَ. أما المعجم الوسيط الذي أصدره مَجْمَعُ اللغة العربية بمصر فقد ذهب إلى أن الخبر هو ما يُنقل ويُحَدَّثُ به قولاً أو كتابة. أما عند المناطقة فإن الخبر هو قَولٌ

---

[148] محمد سمير نجيب الليدي، (1405هـ)، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، دار الفرقان.

[149] إبن منظور، لسان العرب، مادة الخبر.

[150] شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، مكتبة الغزالي، ص 7.

يحتمل الصِدْقَ والكذب لذاته [151]. والخبر بالتحريك في اللغة العربية هو واحد الأخبار وهو ما يأتي للإنسان من معلوماتٍ عَمَّنْ يستخبر.

تعريف الخبر اصطلاحاً

عندما ننظر إلى التعريفات اللغوية السابقة للخبر نجد أنها شديدة الصلة باستخدامات الخبر الإعلامية في كل قنوات الاتصال المعروفةِ اليوم رغم ما يوجد من تباين في وجهات النظر في التعريف الاصطلاحي للخبر، حيث إن الغرض الاتصالي اللغوي هو توصيل المعلومات وإبلاغ الحقائق، وهو عين ما يحدث في قنوات الإتصال الإعلامي الحديثة على اختلافها.

وبالنسبة للمحدثين فقد جاء اصطلاح الخبر ليعطي بعض الدلالات ومنها: أن الخبر هو تقريرٌ عن حادث يمكن للقارئ أو جمهور المتلقين لوسائل الإعلام أن يفهموه، وهو بذلك كل جديد يهم أكبر عدد من الناس. أما وزلي وكامبل فقد عرفا الخبر بأنه تقرير عن فكرة أو حادث أو صراع له صفة الحالية أو الجدة ويهم المستهلكين.

كما عرفه آخرون بأنه إيرادٌ لحادث وقع حالاً يبعث على اهتمام جمهور المستقبلين لوسيلة الإعلام ليعلم هذا الجمهور بما يريد شَريطةَ ألا يخالف قواعد الذوق وقوانين خدش السمعة. وبالطبعِ فإن الخبرَ كلما أثار مزيداً من الاهتمام أو الفضول أو التعليقات حوله كان ذلك مؤشراً على أهميته [152]. وكما هو معلوم فإن

---

[151] عبد العزيز شرف، فن التحرير الإعلامي، الهيئة المصرية للكتاب، ص 96.

[152] المرجع السابق، ص 99.

من أهم الأدوار التي تؤديها وسائل الإعلام هي نقل الأخبار بأشكالها المختلفة من سياسيةٍ وإقتصاديةٍ وغيرها إلى جمهور المتلقين. وهي تنطلق في ذلك من أهمية الخدمة الخبرية التي عرفها الكاتبان الإعلاميان ستانلي جونسون وجوليان هاريس بأنها (**الحادث الذي من شأنه التأثير في العلاقات الإجتماعية أو الإقتصادية أو السياسية أو تغييرها على نحوٍ ما**) [153]. ويقول هذان الكاتبان أيضاً: (إن الحدث الذي له قيمة خبرية هو الحدث الذي يغير الأوضاع القائمة أو يوقع بها اضطراباً، أما الخبر فهو سرد لمثل هذا الحديث) [154].

والأخبار إذن هي معلومات سياسية تتم صياغتها بشكل معين لتقدم في أوقات محددة، مع مراعاة التوازن والتوقيت لهذه الخدمة حتى تقوم بالدور المطلوب منها وهو إعطاء المعلومة وليس تفسيرها. حيث إن التفسير يعتبر أمراً آخر تقوم به أجهزة الإعلام من خلال معالجاتٍ أخرى [155].

ومُصطلحُ الخدمات الإخبارية في الإذاعات والتلفزيونات لم يَعُدْ يعني فقط نشرات الأخبار وإنما أصبح يشمل: (**التعليقات السياسية**) التي تتناول بالدراسة الأحداث الجارية في العالم و (**التحليلات الإخبارية**) التي تغوص فيما وراء الأحداث لتصل إلى مدلولاتها الفعلية، و (**التقارير الإخبارية**) التي تنقل أوصاف الحدث إما بأصوات صانعيه أو بأقلام المخبرين، و (**أقوال الصحف**) التي تعتمد

---

[153] كرم شلبي، (1985م)، الخبر الإذاعي فنونه وخصائصه في الراديو والتلفزيون، دار الشروق، جدة، ص ص 16 – 28.

[154] عبد العزيز شرف، استقاء الأنباء فن، ترجمة وديع فلسطين، نقلاً عن (فن التحرير الإعلامي)، ص 103.

[155] أحمد طاهر، الإذاعة والسياسة الدولية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص 19.

على نشر ما تبثه الصحف، و (**الخدمات التجارية والمصرفية**) التي تعتمد على حركة المال والعُملات والبُرصات التجارية وغير ذلك [156]. وبهذا المدلول الواسع استطاعت الخدمات الأخبارية خلال السنوات الأخيرة أن تصبح هي الخدمة الأهم في معظم المحطات الإذاعية والتلفزيونية في العالم، ولم تنافسها في هذه المكانة أو الأهمية أيةُ خدمات أخرى. وقد خصصت لها معظم المحطات أفضل أوقات البث، وأصبحت تتبارى في تنويع مصادرها الخبرية بغرض تحقيق السبق الإعلامي والسرعة في نقل الأحداث حيةً من مواقعها أو بعد لحظاتٍ فقط من وقوعها.

وقد تفردت الخدمات الأخبارية في محطات الإذاعة والتلفزيون بأسلوب متميز في كتابتها وتقديمها للمتلقي. وتميزت بكثير من الخصوصية في أسلوب الكتابة وتنسيق المفردات ذات الطبيعة الخاصة بهذه الخدمة الإعلامية الهامة. كما أنها استطاعت أن تؤثر في المتلقين من خلال نقل الأحداث إلى كل المجتمعات.

الخبر ومشتقاته في القرآن الكريم

والقرآن الكريم اهتم بقضية الأخبار أيما اهتمام حتى أنها أصبحت سمةً واضحة ومميزة له دون بقية الكتب السماوية التي نزلت على أنبياء الله عليهم السلام. فقد وردت الأخبار في القرآن الكريم بشتى الأساليب فضلاً عن إيراده لمصطلح الخبر نفسه بمدلولاته العديدة. حيث وردت كلمة (خبر) في آيتين كريمتين: الأولى هي قوله تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ**

---

156 عوض إبراهيم عوض، الإذاعة السودانية في نصف قرن، دار الخرطوم للطباعة والنشر 2001م.

أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [157]. والثانية في سورة القصص في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [158].

وجاءت كلمة (أخباركم) في آيتين كريمتين، أولاهما في سورة التوبة في قوله تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لاَّ تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [159]. والثانية في سورة: محمد في قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [160].

ففي الآية الأولى جاءت كلمة (أخباركم) وهي إخبارٌ من الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ وللمؤمنين الخلص بما سيكون من أمر المتخلفين من المنافقين بعد الرجوع من غزوة تبوك. أما في الآية الثانية فقد جاءت كلمة (أخباركم) في إطار وعد من الله ﷻ بابتلاء الأمة الإسلامية كلها لينكشف المجاهدون والصابرون ويتميزوا حتى تصبح أخبارهم معروفة ولا يقع الالتباس في الصفوف، ولا يبقى مجالٌ للمنافقين أو الضعفاء الجزعين. كما جاءت عبارة (أخبارها) في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [161]. ويعني القيامة حيث تزلزل وتخبر بما عمل عليها.

---

[157] قرآن كريم، سورة النمل، آية 7.

[158] قرآن كريم، سورة القصص، آية 29.

[159] قرآن كريم، سورة التوبة، آية 94.

[160] قرآن كريم، سورة محمد، آية 31.

[161] قرآن كريم، سورة الزلزلة، آية 4.

الخبر والنبأ

درج كثيرٌ من العامة والخاصة على استخدام كلمتي (النبأ والخبر) على أنهما مترادفتان، وحتى في بعض كتب الإعلام استُعْمِلَتِ الكلمتانِ محل بعضهما البعض، حيث كثيراً ما يستخدم مذيعو التلفزيون والإذاعة عبارة (نشرة الأخبار) و (نشرة الأنباء) أو (موجز الأخبار) و (موجز الأنباء).

وفي هذا يقول الدكتور محمد فريد محمود عزت وهو أحد المهتمين بشؤون الإعلام في كتابه **(دراسات في فن التحرير الصحفي)**: (لفت إنتباهي وشده بقوة حديثُ المصطفى ﷺ حول فضائل القرآن الكريم وتلاوته عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حيث قال: أما أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**ألا إنها فتنةٌ فقلتُ ما المخرجُ منها يارسولَ الله؟ قال: كتاب الله، فيه نبأ ماقبلكم وخبر ما بعدكم**» فتَكَوَّنَ لدي على الفور انطباعٌ قوي بأنه لابد وأن يكون هناك مجالٌ خاص لكلٍ من الكلمتين تستخدم فيه، وذلك لأن الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى [162].

والملاحظ في هذا الجانب هو اقتران كلمة (نبأ) بما قبل وكلمة (خبر) بما بعد، أي كلمة نبأ للماضين من البشر والخلق وكلمة خبر للاحقين من البشر والخلق، وفي هذا الاستخدام نجد فرقاً واضحاً بين الكلمتين من حيث الظاهر اللفظي، ولكن هل هي كذلك من حيث المضمون وما ترمي إليه من معلومات خبرية تجيء في سياق القصة؟

---

[162] محمد فريد، فن التحرير الصحفي، ص 16.

معني النبأ في اللغة

أما كلمة نبأ والتي تأتي كثيراً في قنوات الاتصال فجمعها أنباء، وقد جاء في معجم ألفاظ القرآن الكريم للأستاذ محمد علي النجار [163] أن استخدام لفظ النبأ استخدامٌ دقيق يفتح مغاليق التعريف، حيثُ نقول نبأه بالشئ أي أعطاه معلوماتٍ عنه وذكر له قصته، ومن ذلك قول أحدهم للآخر: نبئتني هل تزورني غداً؟ أو قول أحدهم: نبئ كريماً إنه لذكي.

ومن هذه الدلالات فإن النبأ يكونُ ذا شأن وأهمية بمعنى أنه يشملُ قضيةً ذات بال. وقد يكون النبأ عن الماضي أو عن مكان أو زمن أو رأي مثل قوله تعالى: ﴿**لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾ [164].

ومن ذلك جاءت كلمة (نبي) وهو من يصطفيه الله من البشر ليوحي إليه بالدين والشريعة التي فيها الهداية. وأصل الكلمة هو (النبئ) بالهمزة من أنبأ لأنه يُنبئ عن الله ﷻ أو لأنه يتنبأ بما يوحى إليه. وقد جرى عند الناس تخفيف العبارة بقلب الهمزة ياءاً. وإذا ورد النبأ في الكتاب معرفاً بأل فالمراد به الرسول ﷺ وإذا ورد منكراً أو معرفة بالإضافة فالمراد أحد الأنبياء الآخرين.

النبأ في القرآن الكريم

وردت كلمة النبأ وجمعها أنباء مع مشتقاتها في القرآن الكريم80 مرة، منها خمسة عشرة لكلمة (نبأ)، ومرة لكلمة (نبأه) للمفرد الغائب، ومرة لكلمة

---

[163] محمد علي النجار، معجم الفاظ القرآن الكريم، الجزء السادس، ص 75.

[164] قرآن كريم، سورة الأنعام، آية 67.

(نبأهم) لجمع الغائبين، وعشر مرات لكلمة (أنبأه) للمخاطب المفرد، ومرة لكلمة (أنبائهم) لجمع المخاطبين، ومرة لكلمة (أنبائهم) لجمع غير العاقل وهي القُرى، والباقي إحدى وخمسين مرة للمشتقات.

ومثال كلمة نبأ في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ**﴾ [165]. ووردت العبارة أيضاً في الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ وَلَقدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [166].

وقال تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾ [167]. وقال تعالى: ﴿**أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وِأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ**﴾ [168].

وقال تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ**﴾ [169]. وقال تعالى: ﴿**أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ**﴾ [170]. وقال تعالى:

---

[165] قرآن كريم، سورة المائدة، آية 27.

[166] قرآن كريم، سورة الأنعام، آية 34.

[167] قرآن كريم، سورة الأعراف، آية 175.

[168] قرآن كريم، سورة التوبة، آية 70.

[169] قرآن كريم، سورة يونس، آية 71.

[170] قرآن كريم، سورة التوبة، آية 70.

﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ**﴾ [171]. وقال تعالى: ﴿**نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [172]. وقال تعالى: ﴿**وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ**﴾ [173]. وقال تعالى: ﴿**أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [174].

تكرر لفظ نبأ في القرآن الكريم كثيراً واستخدم في أكثر من موضع ومنها قوله تعالى: ﴿**قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ**﴾ [175]. وقال تعالى: ﴿**وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ**﴾ [176].

وقال تعالى: ﴿**فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ**﴾ [177]. وقال تعالى: ﴿**وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ**﴾ [178]. وقال تعالى: ﴿**لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾ [179]. والملاحظ أن كلمة نبأ قد جاءت في كل هذه الآيات الكريمة لتحكي عن الحدث الصحيح الوقوع الذي له شأن عظيم من الأهمية والفائدة، وأنه جدير بالإهتمام. كما جاءت في مجملها لتحكي عن أحداث بعيدة

---

[171] قرآن كريم، سورة الشعراء، آية 69.

[172] قرآن كريم، سورة القصص، آية 3.

[173] قرآن كريم، سورة ص، آية 21.

[174] قرآن كريم، سورة التغابن، آية 5.

[175] قرآن كريم، سورة البقرة، آية 33.

[176] قرآن كريم، سورة آل عمران ، آية 49.

[177] قرآن كريم، سورة التحريم، آية 3.

[178] قرآن كريم، سورة ص، آية 88.

[179] قرآن كريم، سورة الأنعام، آية 67.

في تاريخها موغلة في القدم. ويوجد بعد ذلك خمس آيات فيها كلمة نبأ ولكنها لا تتعلق بأحداث ماضية طواها الزمن وإنما تحمل معنى الحدث المهم ذي الفائدة العظيمة مثل قوله تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ**﴾ [180]. وقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ [181]. وقوله تعالى: ﴿**عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ**﴾ [182].

النبأ اليقين

ونتناول في هذا الجزء النبأ اليقين لاستكمال ملامح الصورة بعد أن تحدثنا عن كلمة نبأ وخبر وما تضمنته المعالم القرآنية في الآيات السابقة. حيث إن النبأ اليقين هو الخبر الصادق الموضوعي الذي يستهدف المصلحة العامة، فعملية جمع الأخبار ونشرها تتصل بأهم الغرائز البشرية.

وأظهر صفةً من صفات الإنسان الإجتماعية هي حب الاستطلاع ومعرفة الأخبار والاطمئنان على البيئة داخلياً وخارجياً. وهي عملية تساعد الفرد على التكيف مع الطبيعة والانسجام مع غيره من الناس الذين يعيشون حوله. كما يمكن القول إن جميع الكائنات الحية تعنى بجمع الأخبار وتعرف فنون الاستطلاع للبحث عن الغذاء ومعرفة الأخطار المحدقة بالجماعة وتبليغها. ويمكن ذكر أشهر القصص في مجال النبأ اليقين وهي قصة النمل التي وردت في قوله تعالى: ﴿**وَحُشِرَ**

---

[180] قرآن كريم، سورة ص، آية 67.

[181] قرآن كريم، سورة الحجرات، آية 6.

[182] قرآن كريم، سورة النبأ، آية 2.

لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ [183].

كان موكب سيدنا سليمان عليه السلام يتألف من الجن والأنس والطير، وقد مر على وادي النمل فقامت نملة لها صفة الإشراف والتنظيم على النمل السارح في الوادي ولها أيضاً وظيفة تحذير الجماعة من خلال إبلاغها بالأخطار المحدقة بها، كما طالبتهم بالدخول في مساكنهم حتى يكونوا في مأمنٍ من الدمار حيثُ يُمكنُ أن يحطمهم سليمان عليه السلام وجنوده وهم لا يشعرون.

لقد قامت هذه النملة بوظيفة إخبارية لها أهميتها ودلالتها في موقف إعلامي يجب أن يسترشد به كل إعلامي في الحرص على المصلحة العامة وتنبيه الناس إلى الأخطار. ومن القصص القرآنية الشهيرة كذلك قصة الهدهد التي وردت في قوله تعالى:

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ* فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ * أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا

---

[183] قرآن كريم، سورة النمل، آية 17، 18.

تُعْلِنُونَ * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[184]. ومن سياق هذه الآيات الكريمة نجد أن سيدنا سليمان عليه السلام قد توعد الهدهد بالعذاب والقتل إلا إذا كان له عذرٌ مقبول، على أن يحضر الهدهد الذي يدرك تماماً حزم سيدنا سليمان عليه السلام وشدته. ولذلك بدأ كلامه بمفاجأة طغت على موضوع غيابه وتضمنت إصغاء نبي الله له واستمالة قلبه إلى قبول عذره حيث قال: **﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾**[185].

ثم أخذ بعد ذلك في تفصيل النبأ اليقين الصادق الذي جاء به من سبأ بكل إدراك وذكاء وإيمان وبراعة ويقظة إلى طبيعة موقفه. وبدأ بذكر الجوانب المهمة والبارزة لأنه يدرك تماماً ما يهم نبي الله في الأمر وهو الدعوة إلى عبادة الله الواحد بينما هؤلاء يسجدون للشمس بعد أن أضلهم الشيطان وزين لهم أعمالهم التي لا تهديهم لعبادة الله العظيم.

هنا نلاحظ أن الهدهد قد أتى بالنبأ اليقين المؤكد الذي يهتم به سيدنا سليمان عليه السلام كنبي عادل وملك حازم، ولذلك قال له سيدنا سليمان كما ورد في الآية الكريمة: **﴿قال سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾**[186]. هذا الموقف يعطينا توجيهات ربانية بضرورة حرص العاملين في مجال الإعلام على التأكد من صحة االأخبار المهمة عن طريق الرجوع أو إعادة الاتصال بمصادر المعلومة الخبرية.

---

[184] قرآن كريم، سورة النمل، آيات 20، 26.

[185] قرآن كريم، سورة النمل، آية 22.

[186] قرآن كريم، سورة النمل، آية 27، 28.

هناك أيضاً موقفٌ أخر يمكننا أن نستمده من قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ [187]. حيث تضع هذه الآية الكريمة معالم كاملة لعالم رفيع له منهجه في التثبت من الأقوال والأفعال قبل الحكم عليها أو نشرها بين الناس. ومدلول الآية العام يتضمن مبدأ التمحيص والتثبت من صحة الأنباء، والصدق في نقلها أو نشرها بين الناس.

وذكر المفسرون أن الآية نزلت في الوليد بن عقبة حين بعثه النبي ﷺ إلى بني المصطلق بعد إسلامهم ليأخذ منهم الزكاة، فلما أتاهم فرحوا به وخرجوا لاستقباله فلما رآهم هابهم وظنَّ أنهم خرجوا لمقاتلته فرجع قبل أن يدركوه وأخبر الرسول ﷺ أن القوم قد هموا بقتله ومنعوه الزكاة، ففكر المسلمون في غزوهم.

وبينما هم كذلك قَدِمَ وفدٌ مِنهم إلى النبي ﷺ وقالوا له: **(يارسول الله سمعنا برسولك الذي بعثته إلينا فخرجنا لنكرمه ونؤدي إليه الزكاة فانشمر –أي جزع– وأسرع راجعاً فبلغنا أنه زعم أننا خرجنا لقتله والله ما جئنا لذلك)**. فأنزل الله تعالى هذه الآيات الكريمة التي تقرر أصلاً عظيماً له خطره الكبير وأثره في الحياة وهو التثبت من الأخبار.

الترادف بين النبأ والخبر

من خلال ما تقدم نلاحظ أن معنى كلمة نبأ لا يختلف كثيراً عن معنى كلمة خبر في كثير من الأحيان إلا أن بينهما اختلافاً في المدلول والاستخدام في

[187] قرآن كريم، سورة الحجرات، آية 6.

بعض المواضع. وقد أشار إلى ذلك بشيء من الوضوح الكاتب (**محمد مرتضى الزبيري**) في كتابه (**تاج العروس من جواهر القاموس**) حين قال: «**إن كلمة النبأ وكلمة الخبر مترادفتان وترادفهما واضح وصريح، والخبر هو ما أتاك من نبأ عَمَّن تستخبر، أما النبأ فهو خبر مقيد بكونه عن أمر عظيم كما قيد به الراغب وغيره من أئمة الاشتقاق والنظر**» [188].

ومن خلال هذا السياق يتضح أن بعض المهتمين قد فرقوا بين المصطلَحَين ومنهم الراغب وغيره من أئمة الاشتقاق والنظر في أصول العربية، حيث قال الراغب: «**النبأ هو الخبر ذو الفائدة العظيمة الذي يحصل به علم أو غلبة ظن**». ولا يُقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن ثلاثَ صفاتٍ هي: 1/ أن يكون ذا فائدة عظيمة، 2/ أن يحصل به علمٌ أو غلبةُ ظن، 3/ أن يكون صادقاً ومجرداً من الكذب.

وبناءاً على هذه الشروط الثلاثة فقد زاد أهلُ اللغة العربيةِ في الخبر أنه يحتمل الصدق والكذب لذاته كما جاء في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ [189]، ففي هذه الآية الكريمة تنبيه على أن الخبر إذا كان شيئاً عظيماً فحقه أن يتوقف، وإن عُلِمَ وغلب على صحته الظن، حتى يُعاد النظر فيه ويتبين. ويقول عز وجل: ﴿**عَمَّ يَتَسَاءلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ**﴾ [190]. ومن استقراء هذه

[188] محمد مرتضى الزبيري، تاج العروس من جواهر القاموس، فصل اللون، من باب الهمزة، ص 121.

[189] قرآن كريم، سورة الحجرات، آية 6.

[190] قرآن كريم، سورة النبأ، آية 1، 2.

الآيات القرآنية الكريمة التي وردت فيها كلمتا نبأ وخبر بمعني التحدث عن المشتقات يتضح أن القرآن الكريم استعمل كلمتي (النبأ والخبر) للتحدث عن الماضي، وإن كان قد فرق بينهما في المجال الذي استعملا فيه جرياً على ما أقام عليه نظمه من دقةٍ وإحكامٍ وإعجاز، حيث استخدم النبأ والأنباء في الإخبار عن الأحداث البعيدة الغور زماناً أو مكاناً والتي تجاوزها الزمن وكذلك في الأخبار الصادقة العظيمة التي لها خطر وشأن كبير، في حين استخدم لفظ (الخبر) أو (الأخبار) للكشف عن الوقائع القريبة العهد بالوقوع أو التي لا تزال مشاهدها قائمة ماثلة للعيان.

وفي الألفاظ القرآنية الكريمة تحديدات جامعة مانعة تيسر لنا سبل الفهم وتضيئ معارفنا الحديثة التي تعتبر الخبر أو النبأ جزءاً من طبيعة الحياة. حيث يرى صاحب **(البرهان في وجوه البيان)** أن الخبر استجلاء للبواطن، فمثلاً الصلاة هي في اللغة الدعاء، والصيام هو الإمساك، فلولا ما أتانا من الخبر في شرح مُراد الله عز وجل في الصلاة والصيام لما عرفنا باطن ذلك.

وهذا الفهم يؤكده المنهج القرآني حيث كان كتاب الله نفسه الوسيلة الإعلامية المقدسة. أما في الاصطلاح فلم نجد أي تميز بين الخبر والنبأ [191]. لا من جنس القيود التي اشترطها الراغب الأصفهاني وغيره من علماء اللغة ولا من زوايا المعنى المقصود. وظهر من خلال الاستخدامات السالفة أن الخبر الذي يقال له نبأ أن يكون خالياً من الكذب كالتواتر وخبر الله تعالى وخبر النبي ﷺ. ولتضمن النبأ معتى الخبر يقال أنبأته بكذا كقولك أخبرته بكذا مثل قوله تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ نَبَأٌ**

[191] فيروز، مدخل إلى الصحافة، ص 118.

عَظِيمٌ * أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾[192]. وأيضاً قوله تعالى: **﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾**[193]. ثم قوله تعالى: **﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾**[194]. وكذلك ورد في قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾**[195].

وقد نقل الزبيري عن أئمة الاشتقاق والنظر في أصول العربية أن النبأ خبر مقيد بكونه أمر عظيم كما ذهب إليه الراغب. وأيضاً فرق بينهما شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية حيث قال: «**لفظ الأنباء يتضمن معنى الإعلام والإخبار ولكنه في عامة موارد استعماله أخصُّ من مطلق الإخبار**».

ومن خلال هذا السياق يتضح أنه يُستعمل في الإخبار بالأمور الغائبة المختصة دون المشاهدة المشتركة كقوله تعالى: **﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾**[196]. وقوله تعالى: **﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾**[197].

وقال أعلامُ اللغة العربية والاصطلاح: (**إنَّ الخبر عرفاً ولغةً هو ماينقل عن الغير**). واستعمل المحدثون الخبر بمعنى الحديث، حيث ذكر (**الحافظ بن حجر**

---

[192] قرآن كريم، سورة ص، آية 67، 68.

[193] قرآن كريم، سورة هود، آية 49.

[194] قرآن كريم، سورة التحريم، آية 3.

[195] قرآن كريم، سورة الحجرات، آية 6.

[196] قرآن كريم، سورة آل عمران، آية 49.

[197] قرآن كريم، سورة التحريم، آية 3.

العسقلاني) أن الخبر عند علماء الحديث مرادف للحديث، إلا أنهم استخدموا لفظ الحديث للدلالة على ما ورد عن النبي ﷺ ولفظ الخبر للدلالة على ما ورد عن البشر غير الأنبياء. وقال جماعة من أهل الاصطلاح: الخبر أهم والأثر هو الذي يعبر به عن غير الحديث.

معالجة الأخبار من منطلق المسؤولية الإسلامية

القرآن الكريم هو معجزة المعجزات التي وضعها الخالق ﷻ ليظل محور اهتمام العلماء منذ بداية نزول الوحى الأمين به وحتى يرث الله الأرض ومن عليها وما عليها. ولا تزال الأجيال تتدارسه وتتفكر في محتوياته لتخرج كل يوم بمعانٍ جديدة ترسخ وجوده كمعجزة خالدة تحدى بها الخالق ﷻ الإنس والجن في شتى النواحي.

وكلما حسب الإنسان أنه بلغ الغاية من القرآن اكتشف أنه ما يزالُ في بداية السلم، وكلما حسب أنه قد وصل إلى إدراك مراميه امتد به الأفق في سماواتٍ لا يطالها، متحدياً طاقة العلماء والمفكرين، وذلك لا لشيء إلا لأنه كلام الذات العلية المحيطة بكل دقائق وتفاصيل هذا الكون الفسيح. وقد وافقت العلوم التطبيقية الحديثة كثيراً من آيات القرآن الكريم فيما عُرِفَ حديثاً بالإعجاز العلمي للقرآن الكريم الذي سبق في طرحه العديدَ من مبادئ العلوم الحديثة من خلال آياته وسوره التي لم يدركها الكثيرون إلا بعد تقدم العلم والمعرفة.

وقد أشار إلى ذلك اللهُ ﷻ في إحدى آيات الذكر الحكيم بقوله تعالى:
﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ

أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [198]. ومعلومٌ أن العلم والمعرفة قد انتقلا من ديار المسلمين بعد أن أسسوا لهما من معين القرآن الصافي إلى بقية الأمصار التي أخذته في معظم الأحيان بدون الأصل الذي زكاه وسما به فساروا به في اتجاهات أخرى بعيدة عن التوحيد والانتماء لأصل المعرفة الذي أودعه الله في الإنسان منذ بدء الخليقة وأوضحه في قوله تعالى ضمن الآية الكريمة: **﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾** [199].

إذن فقد صار العلم في أيديهم وسيلة للدمار والسخرة والظلم لغيرهم من بني الإنسان. بل إنهم سخروه للإضرار حتى بموارد الطبيعة والكون الفسيح الذي سخره الله ﷻ للإنسان بالتوازن الموجود في المنهج الرباني الذي ينبغي أن ينضبط له الإنسان حتى يكون متوافقاً مع الوجود الكوني كله.

ومن ذلك أمر الإعلام الذي ندرك أن وظيفته الأولى وعنصره الجوهري هو الخبر أو نقل المعلومة. حيث إن العلماء قد أجمعوا على أن محور الإعلام هو الخبر، وهو في نهاية المطاف يمثل الإنسان نفسه متمثلاً في أهدافه، وتطلعاته، ومعتقداته، وآرائِه، ومشاعره، وأحاسيسه، ومواقفه، وسلوكياته، والأحداث التي تقع من حوله بشكلٍ يومي.

وقد تضمنت سور القرآن الكريم العديد من هذه الأسس الفكرية والأصول الاعتقادية التي يقوم عليها النظام الخبري، وجاء فيها بيان للحقائق الكبرى التي

---

[198] قرآن كريم، سورة فصلت، آية 51.

[199] قرآن كريم، سورة الأنعام، آية 38.

يتعامل معها الإنسان كحقيقة الألوهية، وحقيقة العبودية اللتَيْنِ هُما موضوع العقيدة. ومضمون الأخبار بصورة عامة لا يخرج في معظمه عن حقائق أو آراء أو سلوك أو مواقف يراد نقلها أو معلومات ذات قيمة للمتلقي. وكل هذه تتضمن أحداثاً وقعت في الماضي أو الحاضر أو يتوقع وقوعها في المستقبل القريبِ أو البعيد، وهو ما اهتمت به الدراسات الإعلامية العديدة التي أجراها ذوو الاختصاص والمهتمون بشأن العلم.

وفي واقع الأمر تعرضت نصوص القرآن الكريم لهذا الأمر بكثير من التفصيل الدقيق. وإذا ولجنا في بحرها لتملكنا العجب من انصراف المسلمين عن هذا الكنز العظيم الذي تضمنه كتاب الله ووضع به كثيراً الأسس الدقيقة للممارسة الخبرية الإعلامية. وهو كتابٌ معلومٌ عنه أنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد.

ولكن رغم كل ما تقدم من أهمية هذا الوعاء الرباني المنزه الذي حوى كل شيء إلا أنَّ كثيراً من طلبة الإعلام وأساتذته انشغلوا عن هذا الجانب فيه ولم يستفيدوا الفائدة المرجوة من درره وأحكامه البديعة. وذهبَ الكثيرون منهم يبحثون عن الأصول المعرفية في أوعيةٍ أخرى لم تُسعفهم بما يريدون.

ليس ذلك فحسب بل إنهم لم يستفيدوا من كثيرٍ من الموجهات الإعلامية التي جاء بها القرآن العظيم، ولم يوظفوا كثيراً من قصصه وأسلوبه وتحليله ومعانيه الاتصالية لتكون أساساً متيناً لعلوم الاتصال. وبذلك فقد حرموا أنفسهم وغيرهم من خير كثير، والخوف أن يكون ذلك بسبب ابتعادهم عن كتاب الله وهجرانه، وكأنهم يؤكدون قول النبي ﷺ الذي أشار إليه القرآن الكريم: ﴿**وَقَالَ الرَّسُولُ يَا**

﴿رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾ [200]. ولعلنا ندرك أن النبي ﷺ كان قد اشتكى لله ﷻ من أن قومه من قريش قد هجروا هذا القرآن العظيم وتركوه ولم يتعظوا بما فيه رغم أنهم أحوج ما يكونون إليه في كل متطلبات حياتهم، بل ولم يتعلموا العلم الذي هم في حاجةٍ ماسة إليه وهو العلم المراد من تدبر آيات القرآن وأحكامه الجليلة.

نقل الخبر في الإسلام

يرى بعض العلماء أن الإسلام دين إعلامي، وذلك ما أشار إليه القرآن الكريم في كثير من آياته حيث كان رسول الله ﷺ قد أخبر المشركين والمنافقين بما كانوا يديرونه من مؤامرات. كما كانت آياته الكريمة تنتقد حالة المسلمين في كثير من المواقف وترشدهم إلى الصواب. وبذلك احتوى القرآن الكريم على كثير من النواحي الإخبارية التي نتعامل بها في هذا العصر من نقد وتحليل وتعليق. أما وظيفة الأخبار في القرآن الكريم من ناحية الغيبيات فيمكننا تقسيمها إلى ثلاثة مستوياتٍ هي:

1/ الإخبار عن ذات الله سبحانه وتعالى،

2/ الإخبار عن عالم الغيب،

3/ الإخبار عن عالم الشهادة وواقع الحياة المعاشة.

---

[200] قرآن كريم، سورة الفرقان، آية 30.

أولاً/ الإخبار عن الذات الإلهية

إن الإخبار عن الله ﷻ هو أشرف موضوعات الإخبار وأجلها على الإطلاق، وقد وردت في ذلك آياتٌ كريمة منها قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾ [201]. وقال تعالى: ﴿**لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [202]. وقال تعالى: ﴿**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا**﴾ [203].

صفات الله سبحانه وتعالى

1. **الوحدانية**: الإخلاص ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ**﴾ [204].

2. **الربانية**: إن الله هو ربنا المعبودُ بالحق، ورب كل شئ في السموات أو الأرض، وهو فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والقرآن الكريم. ﴿**قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاء لاَ يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ**

---

[201] قرآن كريم، سورة البقرة، آية 186.

[202] قرآن كريم، سورة الأنعام، آية 103.

[203] قرآن كريم، سورة طه، آية 110.

[204] قرآن كريم، سورة الإخلاص، آيات 1، 4.

نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [205].

3. **العلم**: هو العالم بكل شيء دون الحاجة لأحدٍ من خلقه. وعلمه هو العلم الأزلي الذي لم يطرأ ولا ينقضي ولا يشابهه علم أحد، وهو محيطٌ بالكون ظاهره وباطنه وما لم يكن منه كيف سيكون. **﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾** [206].

4. **الوحدانية**: هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا يشبهه أحد من خلقه ولا يحتاج لغيره ليقوم بأمره مهما كان شأنه. حيث ورد ذلك في سورة الإخلاص بأكملها: **﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾** [207]. كما ورد في قوله تعالى: **﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم﴾** [208].

---

[205] قرآن كريم، سورة الرعد، آية 16.

[206] قرآن كريم، سورة طه، آية 98.

[207] قرآن كريم، سورة الإخلاص، آيات 1، 2، 3، 4.

[208] قرآن كريم، سورة الحديد، آية 3.

5. **الخلق**: والله هو الذي خلق جميع الكائنات بلا استثناء وكان خلقه معجزاً حيث نفخ الروح وسوى البنان وخلق الإنسان في أحسن تقويم وسخر له الزرع والضرع وكل ما في الأرض. **﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾** [209].

6. **نفي الشريك**: ليس لله شريك ولا ذريةٌ من الأولاد، وهو قائم بذاته كما جاء في قوله تعالى: **﴿لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾** [210]. وأيضاً جاء ذلك في قوله تعالى على سبيل الاستنكار: **﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً﴾** [211].

7. **تفرده بالأسماء الحسنى والصفات العُلى**: أي أن الحق عز وجل تفرد بأفضل الأسماء التي هي تسعة وتسعون إسماً لا يجوز للبشر أن يتسموا بها مثل اسم الجلالة الله أو ذي الجلال والإكرام أو الرحمن الخ.. ولكنَّ بعضها مما اعتبرَ صِفاتٍ للحمد أو الجمال جاز للبشر على سبيل التجوز أن يتصفوا بها مثل أن نقول فلانٌ رجلٌ عظيم رغم أن العظيم اسمٌ من أسماء الله أو نقول فلان رجلٌ كريم والكريم من أسماء الله الخ.. وبالطبع فإن النسبة لله تجوز في الأسماء عندما نسبقها بلفظ العبودية كقولنا عبد الله أو عبد الرحيم أو خادم الله أو خادم الكريم أو أمة الله وهكذا.

---

[209] قرآن كريم، سورة فاطر، آية 11.

[210] قرآن كريم، سورة الأنعام، 163.

[211] قرآن كريم، سورة مريم، آية 88.

وهذا بالطبع لا ينفي أن البشر وهم يتصفون ببعض الصفات التي جاءت كأسماء لله عز وجل سيظلون في درك نقصهم البشري الذي لا يتساوى مطلقاً مع كمال الذات الإلهية. وقد جاء في قوله تعالى عن هذه الأسماء: ﴿**اللَّهُ لَا إِلَهَ إلا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى**﴾ [212].

ثانياً/ الإخبار عن الغيب والرَّصَدْ

بلغت الآيات التي تشتمل على الإخبار عن الغيب الحاضر (42) آية نأخذ منها على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾ [213]. ومن سورة الحج قوله تعالى: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**﴾ [214] وقوله تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ [215].

ولما كان البشر يطمعون بقوة في معرفة المستقبل وكشف أستار الغيب فقد جاء ذكر الغيب في إثني عشر موضعاً من القرآن الكريم تضمنتها سور: (**الأنعام، التوبة، الرعد، المؤمنون، السجدة، سبأ، الزُمَر، الحشر، الجمعة، التغابن، والجن**). حيث ورد مرةً واحدة في كُلِ واحدة من هذه السور إلا سورة التوبة التي ورد فيها ذكر الغيب مرتين إحداهما في الآية 94 والثانية في الآية 105. ويقول الله

[212] قرآن كريم، سورة طه، آية 8.
[213] قرآن كريم، سورة النجم، آية 3،4.
[214] قرآن كريم، سورة الحج، آية 39.
[215] قرآن كريم، سورة الإسراء، آية 85.

في محكم تنزيله: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾ [216].

والمعنى أنَّ الكفار عندما قالوا لا تأتينا الساعة أي القيامة كان الرد عليهم بقوله تعالى بَلى وربي لتأتينكم. واللهُ سبحانه هو عالم الغيب الذي لا يغيب عنه مثقال ذرة أي أصغر نملة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مُبين هو اللوح المحفوظ.

كما قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [217]. كما جاء قوله تعالى: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً * لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً**﴾ [218].

والمعنى أن الله ﷻ عالمٌ بما غاب عن العباد وهو لا يُظهر أي يُطلع على هذا الغيب الذي يعلمه أحداً من الناس إلا الذي ارتضاه من رسول فإنه مع إطلاعه على ما شاء منه كمُعجزةٍ له ويجعل معه ملائكةً يحفظونه هم المعنيين بكلمة رَصَدْ حيث يسيرون من بين يديه ومن خلفه لكي يحفظوه حتى يبلغه في جملة الوحي. وجاء ذكر الرَصَد في نفس هذه السورة الكريمة وهي سورة الجن في الآية التاسعة

[216] قرآن كريم، سورة سبأ، آية 3.

[217] قرآن كريم، سورة الجمعة، آية 8.

[218] قرآن كريم، سورة الجن، آيات 26، 27، 28.

حيث قال تعالى: ﴿**وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً**﴾ [219]. أي أننا كنا قبل مبعثه نقعد منها مقاعد للسمع أي نستمع، فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصداً أي أرصد له ليرمى به. وقد شاء الله ﷻ أن يطلع عباده على بعض الغيب لحكمةٍ يعلمها هو، فكانت النبوءات يأتي بها الأنبياء والرسل فتكون دليلاً على صدق النبوءة برسالة.

والرسالة تكون دليلاً على أن علم الله كامل فيدرك الناس بعض أسرار القدر. ولما شاء الله أن تختم الرسالات وأن يرفع صفات النبوءة أبقى الرؤيا الصادقة والتي هي الإطلاع على الغيب قبل وقوعه ليدرك الناس ما قد عجزوا عن تصوره من قضاء الله وعلمه بالأشياء قبل وجودها ويعلموا أن عجز الإنسان عن تصور الأشياء أو إدراكها لا ينفي وجودها بتاتاً.

ويرى بعض الناس أن النبوءات تورث التواكل والتقاعس وهذا الرأي قد يجد صدقية على الصعيد النظري أو على صعيد الجدل العقلي إلا أن للنبوءات أثر بالغ في رفع الهمم واجتثاث اليأس من القلوب ودفع الناس للعمل وتاريخ الصحابة أصدق شاهد على ذلك.

أما الغيب المحسوس فقد قال فيه الحق عزَّ وجلَّ: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ [220].

---

[219] قرآن كريم، سورة الجن، آية 9

[220] قرآن كريم، سورة فصلت، آية 53.

جدل الغيب وجدل الطبيعة

في موازنة جدل الطبيعة يطرح القرآن الكريم جدل الغيب كتصور كوني شامل كقوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾ [221]. وهناك خلاف في تصور الجدليين للعلاقة بين جدل الغيب وجدل الطبيعة وهو خلاف جذري كبير، حيث إن جدل الطبيعة ينفي جدل الغيب مرتداً إلى منهجية علمية شاملة تؤمن بوسائلها المادية في البحث.

أما جدل الغيب فإنه لا ينفي جدل الطبيعة ولكنه يستحوذ عليه ويحتويه في قبضته الكلية بطريقة لا يستطيع جدل الأرض أن يكشفها لأنها تتم بمعزل عن مقاييسه. ولكنها مع ذلك تتم داخل زمانه ومكانه بقوة خفية لا نجد لها تفسيراً في الطبيعة. ولا اعتراف به في جدل الطبيعة ولا في جدل الغيب كذلك لقوله تعالى: ﴿**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ**﴾ [222]. فكيف يجري الأمر إذن حين يهيمن الغيب خارج دائرة المنظور؟ كيف يتحول الغيب إلى حقيقة واقعية في حياة الإنسان.

جدل الغيب والإنسان (تجربة موسى عليه السلام)

اختار الله سيدنا موسى عليه السلام ضمن تجربة محددة كشف فيها عن التطبيق الفعلي لوجود الغيب في حركة الواقع، تلك قصة موسى عليه السلام والعبد الصالح التي

---

[221] قرآن كريم، سورة البقرة، آية 2،3.

[222] قرآن كريم، سورة السجدة، آية 7.

كثيراً ما يرجع إليها الصوفية لتحديد العلاقة بين الشيخ والمريد. غير أن هذه القصة كما أوضح جوانبها الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي تؤكد لنا على معان خطيرة في جدلية الغيب والطبيعة، حيث قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً**﴾ [223].

وتبدو هذه الآيات في سياقها وكأنها تروي قصة رجل من رجال الله الموصلين إلى عالم الغيب وعلمه فيخرقون السفينة ويقتلون ويقومون بأعمال غير عادية تبدو في ظاهرها غير مفهومة وفي باطنها من أمر الله، غير أن القصة ليست قصة العبد الصالح ولكنها قصة سيدنا موسى عليه السلام، وهي تحليلٌ فلسفيٌ لوجود الله في فعل الإنسان.

كان سيدنا موسى عليه السلام يرى الأشياء في ظاهرها وقد كان جوهر العقائد في عصره هو تجلي الله بالخوارق من أعماله وتجسيد إرادته بشكل ملموس. ولم يكن المنظور الغيبي لفعل الله دون خرق للعادة وفي إطار شروطها الزمانية والمكانية طريقة الرسالات السابقة في فهم العلاقة بالله. ولذلك كان دخوله عليه السلام مرحلة التعامل مع الغيب بمعزل عن المخاطبة المباشرة يستدعي سلوكية أخرى في فهم الأشياء وعلاقتها وحركتها فهماً جديداً ينفي الفهم الأول الذي كان فهماً موضوعياً.

وكان الدرسُ عندئذٍ لابد أن يأتي لسيدنا موسى عليه السلام الذي يتلقى عن رب العرش سبحانه وتعالى كلماتٍ مباشرة عبر حِسه المباشر أي التجربة المرئية ليدرك الصلة بين عالم الحركة الظاهرة وعالم الغيب لا كصلة بين عالمين منفصلين يوجد في أحدهما الله سبحانه وتعالى الذي طلب موسى رؤيته عياناً.

---

[223] قرآن كريم، سورة الكهف، آية 60.

ثالثاً/ الإخبار عن عالم الشهادة

يقول تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّوَرِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ**﴾ [224]. وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق أي محقاً. واذكر يوم يقول للشيء كن فيكون هو يوم القيامة يقول للخلق قوموا فيقوموا قوله الحق والصدق والواقع لا محالة، وله الملك يوم ينفخ في الصور أي القرن النفخة الثانية من الملك إسرافيل عليه السلام الذي لا ملك غيره يومها كما جاء في قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾ [225].

ويعني ذلك أن الناس في يوم القيامة حينما يخرجون من قبورهم لا يخفى على الله منهم شيء فيسأل الله تعالى لمن الملك اليوم؟ ويجيب تعالى نفسه بقوله لله الواحد القهار. والله تبارك وتعالى هو عالِمُ الغيب والشهادة أي ما غاب وما شوهد وهو الحكيم في خلقه الخبير ببواطن الأشياء وظواهرها. ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ**﴾ [226].

وجاء قوله أيضاً: ﴿**ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**﴾ [227]. وفي واقع الأمر كثر استخدام القرآن لعالم الغيب والشهادة بحكم أهميتها ومغزاها الذي

[224] قرآن كريم، سورة الأنعام، آية 73.

[225] قرآن كريم، سورة غافر، آية 16.

[226] قرآن كريم، سورة الرعد، آية 9.

[227] قرآن كريم، سورة السجدة، آية 6.

يحتاج الناسُ لمعرفته في درجاتٍ مختلفة وهو لا يتضح بعيداً عن سياق القرآن. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [228]. وأيضاً قوله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [229].

وكذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [230]. ثم في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [231].

الصياغة الخبرية للقرآن المكي والمدني

أهتم القرآن الكريم بالأخبار اهتماماً شديداً لما لها من أثر ونتائج على المتلقي. ولذلك جاءت كثير من الأخبار لتحدث تغييراً في المجتمع ولتغير سلوك الناس وممارساتهم، وقد أفرز بعضها أحكاماً ظلت إلى يومنا هذا. وقد وردت آيات كثيرة تتحدث عن النبأ والإبلاغ والإنذار والتذكير، وكلها بمعنى الإعلام والإخبار.

[228] قرآن كريم، سورة سبأ، آية 3.

[229] قرآن كريم، سورة الزمر، آية 46.

[230] قرآن كريم، سورة الحشر، آية 22.

[231] قرآن كريم، سورة الجمعة، آية 8.

واهتمت هذه الآيات بالرسائل الإخبارية في ذاتها وصياغتها وأسلوبها الذي جمع بين الدقة والوضوح والإيجاز غير المخل بالمعنى وحسن العرض وبراعة الأسلوب التي تتناسب مع جمهور المستقبلين. ولدى تتبعنا لطبيعة السياق وجدنا أن الرسائل الإخبارية التي وجهت للناس في مكة المكرمة اختلفت عن تلك التي وجهت في المدينة المنورة. حيث اهتمت الآيات المكية عموماً بقصد العبارة والجمل القصيرة المتحدة القوافي لتؤثر في قلب السامع مثل قوله تعالى: ﴿**وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا * وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا**﴾ [232].

تعامل النبي ﷺ مع الأخبار

كما أهتم القرآن الكريم بالخبر اهتم به النبي ﷺ ومارسه عند تكوين الدولة الإسلامية في المدينة التي كان لها أعداءٌ كثيرون تمثلوا في كفار قريش واليهود. وكان لابد من من معرفة أخبارهم عبر إرسال مندوبين يجمعون الأخبار. ومن ذلك أن الرسول ﷺ أرسل (**عبد الله بن جحى الأسدي**) وكان ذلك في شهر رجب من السنة الثانية للهجرة ومعه جماعة وأعطاه رسالةً أمره ألا ينظر فيها إلا بعد مسيرة يومين وقد كان.

وجاء في تلك الرسالة: «**إذا نظرت في كتابي هذا فامضِ حتى تنزل نخلةً بين مكة والطائف فترصد بها قريشاً وتعلم لنا أخبارهم**»، إلا أن الوفد صادف قافلة لقريش فقاتلها. وقد أغضب ذلك رسول الله ﷺ لأنه افتقد عنصر السرية في الحصول على الأخبار، وبذلك يكونُ واحدٌ من أهم العناصر في نقل هذه المعلومة

232 قرآن كريم، سورة المرسلات، آية 1، 2.

قد فَلتَ من يد حامل الخبر. ولا شك أن النتيجة لم تكن طيبةً بأي حالٍ من الأحوال لأن النبي ﷺ كان في غاية الحرص على إرسال المهاجرين لمعرفتهم بالمنطقة وطرقها وطبيعة أهلها حتى يكون الخبر دقيقاً وواضحاً وشاملاً وصادقاً، وهذه بالطبع هي أهم الخصائص التي يجب أن تتوفر للخبر في كل وسيلةٍ إعلامية مهما كان شكلها أو طبيعتها [233].

خصائص الخبر من المنظور الإسلامي

يجب أن يهتم الخبر كما يتضح من القرآن الكريم بتقديم الأحداث مشروحة ومفسرة للأسباب والمسببات والآثار المترتبة عليها في الحياة كقوله تعالى: **﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾** [234].

ووفقاً لهذا فإن الخبر يجب أن يحمل عدة خصائص تتطابق مع الصفات المطلوبة في المسلم. وهي في مجملها صفاتٌ يحثُ عليها العقل السليم وفطرة الإنسان السوي بغض النظر عن المكان أو الزمان الذي يعيش فيه هذا الإنسان. وعندما نغوص في أعماق هذه الخصائص للخبر ونقيسها بمقياس الإسلام نلاحظ أنها لا تختلف كثيراً عن خصائص الخبر في الإعلام الحديث إذا تم نطبيقها وتم التعامل

---

[233] عبد الوهاب الكحيل، (1985م)، الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامي، عالم الكتب، ص ص 109-116.

[234] قرآن كريم، سورة الأعراف، آية 158.

معها بالتجرد المطلوب لصناعة الخبر. ونعني بهذا التجرد خلو المهنة من القيود الفوقية التي تمليها اعتبارات السياسة أو المصالح التي تؤثر في معظمها على اتجاه الإعلام وتبعده عن الحياد والموضوعية. ولذلك كان من الواجب أن يتسم الخبر ببعض السمات من المنظور الإسلامي وهي: الصدق، والموضوعية، والدقة، والآنية، والمرونة، والشمولية. ونقف فيما يلي على هذه السمات بشيء من التفصيل:

1/ الصدق:

وهو من الأسس المهمة في الخبر، حيث يجب تحري الحقيقة في الحصول على المعلومة وفي معالجتها كخبر ونشرها وإذاعتها. وقد أمر القرآن الكريم بالصدق في القول والإخبار والتبليغ، وكذلك السنة النبوية المطهرة حيث قال تعالى: ﴿**لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ**﴾ [235].

ويقول النبي ﷺ في الحديث الشريف: (**إن الصدق يهدي إلى البر، وإنَّ البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يُكتبَ عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يُكتبَ عند الله كذاباً**) [236].

وقد اهتم الرسول ﷺ بوجوب التحقق في صدق الرسالة الإخبارية فنراه يتأكد من الغلام زيد بن أرقم ويستوثق منه لما نقل مقالة عبد الله بن أُبَيْ زعيمِ المنافقين بعد غزوة بني المصطلق، حيث قال عبد الله بن أُبَيْ: (**والله لَئِنْ رجعنا إلى**

---

[235] قرآن كريم، سورة الأحزاب، آية 24.

[236] جلال الدين السيوطي، الجامع الكبير، الجزء الأول، العدد 15 مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة.

المدينة ليُخرجن الأعزُ منها الأذل) وكان يشير إلى النبي وأصحابه فقال له النبي ﷺ: (**يا غلام لعلك غضبت عليه، لعله أخطأ سمعك، لعله شُبّه عليك؟**) وكان زيد يؤكد الخبر والسماع [237].

2/ الموضوعية:

وهي أن ينقل القائم بالأعمال المعلومة كما هي حتى وإن كانت ضدَّه، ولنا في ذلك أسوة حسنة في رسول الله ﷺ حيث إنه عندما نزلت بعض آيات القرآن الكريم تعاتبه نقلها للمسلمين كما هي مثل قوله تعالى: ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَن جَاءهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى**﴾ [238].

3/ الدقة:

يصعب أحياناً التحقق بصورة كاملة من دقة الخبر، حيث إن الذي يجري وراءه ويأتي به من مصادره شخص له تفكيره وأسلوبه في الصياغة، ثم يأتي بعده من يقوم بكتابة الخبر داخل المحطة الإعلامية أو دار النشر الصحفية، ثم هناك من يراجعه، وهناك من يترجمه وكل واحد من هؤلاء له تأثيره في عملية نقل الخبر. وحتى لا يكون نقل الخبر بجهالة مع غموضٍ في المعنى قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ [239]. ذلك أنَّ عدم

---

[237] عبد الوهاب كحيل، مصدر سابق، ص 124.

[238] قرآن كريم، سورة عبس، آيات 1، 4.

[239] قرآن كريم، سورة الأنبياء، آية 7.

التأكد يوقع في أخطاء قد تؤدي إلى ما لا تُحمد عقباه، أو حدوث مشكلاتٍ لم تكن في الحسبان.

4/ الآنية:

ومعناها مسايرة الوقت الذي ينشر فيه أحداث الخبر لتبث على الناس في أوان حدوثه بالضبط. وهناك أمثلة كثيرة من القرآن الكريم حيث كان الوحي ينزل بمجرد وقوع الحادثة فيفسر أمر الله فيها أو يشرح ملابساتها نفياً أو تأكيداً أو يجيب على تساؤلات القوم حولها [240].

5/ المرونة:

وهو أن تخبر كل طائفة بما يناسبها وكل أمة بما يتلام معها بحكم أن الإنسان بفطرته ميالٌ لما يروق له وما يستوعبه وما يقدر عليه دون قيودٍ أو إجهادٍ أو تعسف. ولذلك كان هذا واضحاً وجلياً في سلوك الأنبياء جميعهم لاسيما سلوك المصطفى ﷺ الذي وضح جلياً في مراتٍ عديدة، ومن ذلك أنه كان يتعامل مع كل مسلم حسب طبيعته.

وأقرب مثال على ذلك أن عمه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال يوماً: (**يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً**) فقال ﷺ: (**من دخل المسجد الحرام فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن**).

---

[240] عبد الوهاب كحيل، مصدر سابق، ص 140.

6/ الشمولية:

وهي مستمدة من عالمية الإسلام وشموليته الزمانية والمكانية. فالشمولية في نظر الإسلام للخبر والإعلام لاتعني فقط الامتداد في المكان ليستوعب الدنيا كلها بل هو أيضاً منهج شمولي تعدد زوايا الرؤية فيه لتشمل الإنسان في حياته العقلية والوجدانية.

المسؤلية الإسلامية في تحرير الخبر الإعلامي

من الأسس المهمة التي يقوم عليها الإعلام الصادق كسب ثقة المتلقي عند نقل المعلومة ومعالجتها لتقديمها عبر الوسيلة الإعلامية المعنية. والإسلام يطلب من المسلم أن يكون صادقاً وأهلاً للثقة عند إتصاله بمن حوله من أفراد المجتمع، حيث يقول النبي ﷺ: (**إن العبد ليتكلم بالكلمة لا يُلقي لها بالاً ترفعه درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة لا يُلقي لها بالا يهوي بها في نار جهنم**).

وقد كرم المولى عز وجل الإنسان، وجعله خليفة في الأرض وحمله الأمانة، ومنحه العقل والقدرة على الفهم والتمييز والإدارك. ولذلك تتعاظم المسؤولية في حق الإعلامي المسلم عندما يتعامل مع أجهزة الإعلام في تقديم المعالجة الإخبارية التي ترد إلى المحطة المعنية في كل مراحل معالجة الخبر.

وهذا الأمرُ يتطلب أن يكون الإعلامي مدركاً لطبيعة المعلومة التي وصلت إليه ومصدرها وكيفية معالجتها وتقديمها والأثر الذي ستحققه ومدى ضررها أو استفادة الأمة منها وهل هي قابلةٌ للنشر أم لا. وهذا هو ما جاء في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ**

فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [241]. وقال تعالى: **﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾** [242].

وهنا يركز الإسلام بصفة خاصة على قول الزور واختلاف القصص لنشر أخبارٍ يراد من خلالها تحقيق هدف يمكن أن يكون فيه ضرر للأمة أو أي جهةٍ أخرى. ويحذر النبي ﷺ في حديثه عن أبي بكرة عن أبيه حيث يقول: (**كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلنا: بلَى، قال الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقولُ الزور فما زالَ يُكررُها حتى قُلنا ليتَهُ سَكَتَ**) حديث صحيح.

والإعلام الإسلامي لا بد أن ينبني على التصور الإسلامي الصحيح للكون والحياة. وكذلك الإعلامي الصادق لا بد أن يعالج الأخبار وينشر المعلومات ويجري التحقيقات ويحلل الأحداث ويعلق عليها بكل الدقة والأمانة مترفعاً عن قول الزور والإساءة للآخرين حتى لو كانوا أعداءاً وذلك تمشياً مع قوله تعالى: **﴿وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَسُبُّواْ اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾** [243].

كما أنَّ على المعالجات الخبرية أن تُركز على مُراعاة الأخلاق الإسلامية والبعد عن التشويه الذي تلجأ إليه بعض القنوات الإعلامية الحاضرة بغرض

---

[241] قرآن كريم، سورة الحجرات، آية 6.

[242] قرآن كريم، سورة الحج، آية 30.

[243] قرآن كريم، سورة الأنعام، آية 108.

الكسب المادي أو السبق الإعلامي أو أي أهدافٍ رخيصةٍ أخرى. ومن المهم أيضاً اعتمادُ قيمةِ التحاكم إلى الله ورسوله والبعد عن الأهواء والنزوات وإعلاء قيمة موازين الحق والعدل في التعامل مع المعلومة، فإذا أحسنت وسائل الإعلام استخدام هذه القيم في معالجة الأخبار فإنها تكسب ثقة المتلقي لتوخيها الصدق، وتكون النتيجة اكتساب المزيد من الجمهور مما يجعلها أكثر تأثيراً [244].

ولعل أكثر مايبعث خيبة الأمل في نفوس المتلقين لوسائل الإعلام من راديو وتلفزيون وصحيفة وغيرها هو نقل الإشاعات والأكاذيب والأخبار المضللة التي لا أساس لها من الصحة، والتي تكون في معظمها محاكة من مصادر مجهولة تدسها لوسائل الإعلام بغرض تحقيق أهداف بعينها.

وبالتالي فإن الواجب يُحتمُ على الإعلامي ناقل الخبر أن يتأكد من مدى صحة المعلومة قبل أن يقدمها للجمهور. وهذا هو ما توخاه الإسلام طوال بثه لرسالته على الأمم. حيث أوضح القرآن الكريم الخطوات الواجب اتباعها عند ورود أي معلومة قد تؤثر على المجتمع سلباً أو إيجاباً وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ [245].

ومثل الإشاعة أيضاً نجد مشكلة الإثارة التي تلجأ إليها الكثير من وسائل الإعلام في زماننا الحاضر في نقلها للأخبار. وهذا واضحٌ وجلي في عناوين الأخبار

---

[244] رشدي شحاتة أبوزيد، (2001م)، مسئولية الإعلام في ظل النظام العالمي الجديد، دار الفكر، ص 371.

[245] قرآن كريم، سورة النساء، آية 83.

التي تقدمها بعض الصحف حيث تتضمن الكثير من العبارات المثيرة أو المزعجة بغرض جذب المتلقي وجَرّه لشراء الصحيفة بحثاً عن الموضوع المثير، وفي هذا يقول الإمام الغزالي: (**إنَّ النفوسَ مَيالةٌ إلى الغريبِ ومُستلذةٌ له**). ولذلك ينبغي على أهل الإعلام المسلمين ألا يلجأوا إلى الإثارة والغرائب، وإنما عليهم أن يجسدوا الحقائق كما وردت دون تشويش.

الصدق في العمل الإعلامي

يجب على الإعلام أن يوجه إلى ضرورة جمع ونشر الأخبار المهمة التي تكون لصالح المجتمع وتفيد الناس في أمور دينهم ودنياهم وفي إطار اهتماماتهم المشروعة، مع البراعة في العرض بطريقة شيقة تجذب القارئ والسامع والمشاهد بعيداً عن الخداع والتضليل أو التهويل، وأن تتضمن حاجات الناس ومصالحهم بحكم أن حرية النشر مكفولة في الإسلام لكل صحفي وكاتب بشرط عدم مخالفة الشرع والخروج عن الأخلاق والآداب العامة وتحري الوقت المناسب لنشرها.

ولكل ما يتقدم يجب على من يتصدى لصناعة الأخبار أن يتحرى الصدق في عمله حتى لايناله الضرر في الدنيا والعذاب في الآخرة تأكيداً لقوله تعالى: ﴿**إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ**﴾ [246].

أما عن موقف الإسلام من الكذب والنفاق فهو موقفٌ واضحٌ وصريح حيثُ حذَّرَ من خلال آياتِ القرآن الكريم والأحاديث النبوية من تعاطي الكذب

---

[246] قرآن كريم، سورة النور، آية 15.

الذي جعله صنواً للمرض حيث أوضح في الآية العاشرة من سورة البقرة أنَّ الذين يكذبون إنما يحملون في قلوبهم الشك والنفاق الذي يُمرض قلوبهم ويضعفها. وقد زادهم الله مرضاً بما أنزله من القرآن الكريم لكفرهم به، ولهم عذابٌ مؤلم بما كانوا يُكَذِّبون نبيَّ الله رغم أنهم يقولون آمنا. وهذا الكذب يحوي معنى أنهم يَكذِبون على الناس ومعنى أنهم يُكذبون ما جاء به النبي ﷺ من كلام الله ﷻ. ويتضح هذا من نص الآية: ﴿**فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾. سورة البقرة، آية 10.

كما كان توبيخ الله ﷻ لهم ظاهراً أيضاً في الآية رقم 75 من سورة آل عمران، حيث أشار إلى أن من أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطارٍ أي بمالٍ كثير يؤده إليك بحكم أمانته وصدقه مثل عبد الله بن سلام الذي أودعه رجلٌ ألفاً ومائتي أوقية من الذهب فأداها إليه. ومنهم من إن تأمنه بدينارٍ واحدٍ لا يؤده إليك رغم تفاهة الدينار، وذلك بسبب خيانته للأمانة إلا ما دمت عليه قائماً أي لا تفارقه، فمتى ما فارقته أنكر عليك حقك وتمنع في رده إليك.

ومثاله كعب بن الأشرف الذي استودعه أحد القرشيين ديناراً واحداً لا غير فجحده ذلك الدينار ورفض أن يُؤديه إليه. وذلك بسبب أنهم قالوا ليس علينا في الأميين أي العرب إثم، وبذلك استحلوا ظُلمَ من خالف دينهم ونسبوه إلى اللهِ سبحانه وتعالى زوراً وبهتاناً، ولذلك قال فيهم الحقُ عزَّ وجلَّ (ويقولون على الله الكذب) بنسبة ذلك إليه وهم يعلمون ذلك تمام العلم.

ولذلك جاءت الآية لتصف ذلك: ﴿**وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ**

قَآئِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ سورة آل عمران، آية 75. ولا شكَّ أن الذين يفترون الكذب اعتبرهم القرآن الكريم مفترين ذلك على الله إمعاناً في جسامة جرمهم. ولذلك فكلُّ مَنْ افترى على الله الكذب بعد ظهور الحجة والبرهان فأولئك هم الظالمون المتجاوزون الحق إلى الباطل. وقد وصفتهم آية آل عمران حين قال تعالى: ﴿فَمَنِ افْتَرَىَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ سورة آل عمران، آية 94.

وقال تعالى في سورة النساء: ﴿انظُرْ كَيفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْماً مُّبِيناً﴾. سورة النساء، آية 50. وزجر الذين يحرفون الكلم من بعد مواضعه محذراً إياهم من خلال قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هِادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُواْ وَمَن يُرِدِ اللّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ سورة المائدة، آية 41.

والمعنى يا أيها الرسول لا يحزنك صنع الذين يسارعون في الكفر ويقعون فيه بسرعة أي يظهرونه إذا وجدوا فرصةً للبيان، وهم الذين قالوا آمنا بألسنتهم ولكن لم تؤمن قلوبهم وهم المنافقون. ومن الذين هادوا قومٌ سماعون للكذب الذي افترته أحبارهم لأجل قومٍ آخرين من اليهود لم يأتوك وهم أهل خيبر، حيث زنى فيهم شَخصانِ مُحصنان فكرهوا رجمهما فبعثوا قُريظة لاستفسار النبي ﷺ عن حكمهما.

والمقصود بعبارة يحرفون الكلمَ أي يحرفون الكلام الذي في التوراة (مثل آيةِ الرَّجْم) من بعد مواضعه التي وضعه اللهُ ﷻ عليها، أي يبدلونه ويقولون لمن أرسلوهم إن أوتيتم هذا الحكم المحرف أي الجلد الذي أفتاكم به محمد فخذوه واقبلوه وإن لم تؤتوه بل أفتاكم بخلافه فاحذروا أن تقبلوه. ومن يرد الله فتنته بالإضلال فلن تملك له من الله شيئاً في دفع هذه الفتنة، وأولئك هم الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم من الكفر ولو أراده لكان. ولهم في الدنيا خزيٌ وذُلٌ بالفضيحة والجزية ولهم في الآخرة عذابٌ عظيم ينظرهم.

والذين يستمعون للكذب كثيراً يضلون الطريق لا محالة ولا يصلون إلى الحقيقة، وقد جاء وصفهم في سورة المائدة عندما قال تعالى: ﴿**سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾. سورة المائدة، آية 42.

إذن هم سماعون للكذب وأكالون للسُحُت أي الحرام كالرشا، فإن جاؤوك لتحكم بينهم يا محمد فاحكم أو أعرض عنهم. وقال المفسرون إن هذا التخيير منسوخٌ بقوله تعالى: ﴿**وأن احكم بينهم**﴾. بمعنى أنه يجب عليك الحكم بينهم إذا ترافعوا وهو ما كان عليه الإمام الشافعي ؓ. فلو ترافعوا إلينا مع مسلم وجب إجماعاً، وإن تُعرِضْ عنهم فلن يضروك شيئاً. وإن حكمتَ بينهم فاحكم بالعدل، والله يحب العادلين في حُكمهم ويثيبهم على ذلك. ﴿**مَا جَعَلَ اللّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَـكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ**﴾ سورة المائدة، آية 103.

وأسلوب الكذب والتدليس ليس واحداً في مجال العمل الإعلامي وإنما يعتبره البعض متكرراً بشكلٍ يومي من خلال المعلومات المغلوطة والأخبار الملفقة أو تضليل الناس من خلال فنون الدعاية والإعلانات المختلفة.

وبذكر الدعاية يحسب البعضُ أن الإسلامَ لا يقرها ولكن واقع الأمر يقول غير ذلك إلا أن الإسلام قد هذبها وتعامل معهابكل الصدق والنزاهة. حيث تكرر أسلوب الدعاية في رسائل النبي ﷺ في حملته الإعلانية الكبرى الموجهة للعالم قاطبةً منذ السنة السادسة للهجرة النبوية.

وكان هذا الأسلوب مؤثراً وقوياً في جلب الناس لدين الحق. وما أمر الوفود التي تقاطرت نحو المدينة للمبايعة إلا تأكيد لنجاح هذا الأسلوب الإقناعي الذي آتى أكله في دولة الإسلام الأولى. ولكنه لم يلجأ للكذب أو النفاق أو التدليس أو إعطاء معلومات كاذبة.

وكلمة دعاية يأخذها البعض مأخذ القدح والمدلول السالب لارتباطها كثيراً بالتجارة والتجارة صارت صنواً للحنث في اليمين والغش والخداع في كثير من الأحيان، إلا أن هذا قطعاً لا ينتقص من المدلول العلمي والإعلامي لفنون الدعاية وأساليب العرض المشروعة لأي سلعة حتى ولو كان المعروض هو الإيمان.

ولا شك أن تجميل صورة الدين بما فيه كان وظل وسيبقى مألوفاً لدى المسلمين لأنه جزء من العقيدة. وهو في كل الأحيان يعرضُ الإسلام في قالبٍ من الرقي والجمال الذي يرتضيه كلُ ذي بصيرة. ولو اعتمد الإعلام على الإخبار ونقل المعلومات والحقائق والأرقام والإحصاءات فإنَّه قطعاً يحتاج لصدق المعلومة وعدم الغش فيها حتى لا ينخدع المتلقي ويشكك في كنه الوسيلة الإعلامية بعد ذلك.

وما يجب أن ينشده كل جهاز إعلام في زماننا الحاضر هو الصدق المصاحب لالإغراء والتشويق وعنصر العاطفة ومحاولات جذب المتلقي بغرض استمالته واستهوائه للتعامل مع الأمر المطروح للعبرة أو التعلم أو الدعوة أو الترويج الخ.. وفي هذا يستوي أمر المدعويين سواء كانوا أفراداً أو حكوماتٍ أو مؤسسات أو جماعات.

والواجب ألا يقع الإعلام في طائلة من سماهم القرآن حين قال: ﴿**انظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ**﴾ سورة الأنعام، آية 24. وأيضاً لا بد من توخي مضمون الآية الكريمة: ﴿**فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ**﴾ سورة التوبة، آية 77.

ومدلول الآية أنْ أصبحت عاقبتهم ضلالاً ونفاقاً ثابتاً في قلوبهم إلى يوم يلقون الله ﷻ وهو بالطبع يوم القيامة، وذلك بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون فيه. فجاء بعد ذلك إلى النبي ﷺ بزكاته فقال له إن الله منعني أن أقبل منك فجعل يحثو التراب على رأسه، ثم جاء إلى سيدنا أبي بكر الصديق ﷺ فلم يقبلها منه. فذهب إلى سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ فلم يقبلها، فذهب بها إلى سيدنا عثمان بن عفان ﷺ فلم يقبلها منه حتى مات في فترة حكم سيدنا عثمان.

وإذا نظرنا إلى كل ما تقدم نلاحظُ أن الإسلام قد رفض الغش والتدليس والنفاق بشكلٍ حاسمٍ وقاطعٍ لا رجعة فيه. والسبب واضح في ذلك حيثُ إن الشارع الكريم لا يريد للناس أن يضلوا الطريق من خلال اعتمادهم على معلوماتٍ مغلوطة لا أساس لها من الصحة. ولذلك كان حال الرسالة الاتصالية الإسلامية التي لا بد لها أن تتوخى الصدق فقط ولا شيء غيره.

رد الخبر إلى الله ورسوله

كان المسلمون في حياة النبي ﷺ يعودون إليه للتحقق فيما قد يصل إليهم من أخبار. وقد جاء هذا في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾[247].

والمعنى أنه إذا جاءهم أمر عن سرايا النبي ﷺ بما حصل لهم من الأمن بالنصر أو الخوف بالهزيمة أذاعوا به وأفشوه. وقيل إنه نزل في جماعة من المنافقين أو جماعة من ضعفاء المؤمنين كانوا يفعلون ذلك فتضعف قلوب المؤمنين ويتأذى نتيجةً لذلك النبي ﷺ، ولو ردوه أي هذا الخبر إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم أي ذوي الرأي من أكابر الصحابة، أي لو سكتوا عنه حتى يخبروا به لعلمه الذين يستنبطونه أي يتبعونه ويطلبون علمه وهم المذيعون منهم، هل هو مما ينبغي أن يُذاع أو لا ، ولو ردوه إلى الرسول ﷺ وأولي الأمر، ولولا فضل الله عليكم بالإسلام ورحمته لكم بالقرآن لاتبعتم الشيطان فيما يأمركم به من الفواحش إلا قليلاً.

كانت العودة إلى النبي ﷺ هي الأولى لكي يستوثق الناسُ من مدى صحة أو خطأ ما يتفوهون به من أمور. وبالطبع لا بد لنا أن نُشير هنا إلى أننا في عالم اليوم لا نجد فرصةً للعودة للنبي الكريمِ بحكم وفاته ﷺ، ولكنْ لا شك أن لدينا الفرصة للعودة إليه من خلال الإرث الكبير الذي تركه من الأحاديث الشريفة التي تمثلُ لُبابَ السنة النبوية المطهرة. وبالطبع فإن العودة الأولى تكونُ إلى كتاب الله

[247] قرآن كريم، سورة النساء، آية 83.

العزيز أي القرآن الكريم الذي فيه القول الفصل في كثيرٍ من أمور البشرية. كما يمكن الرجوع لأولي الأمر من ذوي السلطان والعلماء المتخصصين كلٌ في مجال تخصصه حيث يستطيع أن يميز الخبر الذي يحتمل الصدق عن غيره [248].

مؤسسات صنع الأخبار

هناك مؤسسات عديدة في عالم اليوم مهمتها الأساسية وغرضها الرئيسي هو صناعة الأخبار وبثها من خلال قنواتٍ عديدة. ومن هذه المؤسسات وكالات الأنباء، ومحطات التلفزة والإذاعات والدور الصحفية وشبكات الإنترنت وغيرها. وكل هذه القنوات تقوم بوظائف إخبارية بدرجاتٍ متنفاوتة. وهي تخضع لقوانين تنظم عملها في كل بلدٍ من بلدان العالم. ولقد زادت أهمية هذه المؤسسات باتساع نطاق الاتصال الجماهيري، حيث أصبحت الحاجة ملحة للأخبار والمعلومات.

وجميع وسائل الاتصال الجماهيرية تعملُ بكل ما أوتيت من قوة من أجل أن تنال قصب السبق وتنفرد بما تبثه من أخبار أو مواد ذات طابع إعلامي أو أخباري، مما يجعل العاملين بهذه الوسائل في حالة حركة دائبة للفوز بالسبق الإعلامي في نشر كل ماهو جديد على ساحات الأحداث الداخلية والعالمية. ولهذا يسعى الصحفيون إلى الحصول على أهم وآخر الأخبار بغرض تدعيم مكانة الجهاز الإعلامي الذي يعملون به وسط جماهير المتلقين.

وهنا تتعدد المصادر الإخبارية التي يطرق الصحفيون أبوابها للفوز بالقصص الإخبارية خاصةً إذا كانت على درجة عالية من الأهمية والسرية من هذه المصادر.

[248] سعيد إسماعيل صيني، (1991م)، مدخل إلى الإعلام الإسلامي، دار الحقيقة للإعلام الدولي، ص 206.

ومع تنوع ملكية المؤسسات الخبرية اختلف أسلوب التعامل مع المعلومة الواردة ومعالجتها قبل توزيعها على الصحف والإذاعات والمحطات التلفزيونية بمختلف اتجاهاتها. ونسبة للإمكانات الضخمة التي يحتاجها العمل في المؤسسات الخبرية فإن تلك المملوكة لبيوت المال الكبرى في الغرب هي الأكثر نشاطاً وقدرة على الوصول إلى مواقع الأحداث، وبالتالي فإن أي نقل للخبر يكون وفقاً لرؤية المصدر الذي يتمثل في هذه المؤسسة أو تلك.

وعلى الرغم من أن أساس صناعة الأخبار هو الدقة والموضوعية إلا أن بعض المؤسسات الدولية واجهت انتقادات حادة على مستوى الممارسة الإعلامية خلال العقود الأخيرة. وكان أهم اتقادٍ وُجه لها هو أنها لم تتحقق من صحة بعض الأخبار التي أوردتها في بعض الأحيان، وذلك بسبب المنافسة والحرص على تجميع الأخبار وبثها بسرعة أو تحقيق السبق الإعلامي.

ثم إن هذه المؤسسات قد وقعت في كثير من الأخطاء التي تعلق بالصياغة أو الترجمة من لغة إلى أخرى، الأمر الذي أفسد مضامين بعض الأخبار في بعض الأحيان. كما أن هذه المؤسسات اعتمدت في بعض حالاتها على مراسلين من أبناء المناطق التي تقع فيها الأحداث وهؤلاء قد يكونون غير مؤهلين أو يقعون تحت تأثير الخوف من السلطات في بُلدانهم أو يتحيزون لأفكار معينة مما ينعكس على تناولهم للأخبار.

وهناك مشكلةٌ أخرى هي أن مؤسسات صناعة الخبر اتخذت في بعض الأحيان كُتاباً غير مؤهلين أو متحيزين في تحليلهم للأحداث لم يقوموا باستقصاء الحقائق أو يتحسبوا لعواقب ما قالوا. ومن كل هذا نخلص إلى أن وسائل الأخبار

ليست دائماً متوازنة في أداء خدمتها كما ينبغي، حيث إنها قد تركز على بعض المناطق وتهمل بعضها الآخر بغرضٍ أو بجهلٍ بحقائق الأمور، كما إنها تركز في بعض الأحيان على نوعية معينة من الأحداث وتترك أحداثاً أخرى أكثر أهمية لا لشيء إلا لخدمة أهدافٍ أو استراتيجيات بعينها.

والوكالات أو المؤسسات الإعلامية تتعامل دائماً مع طائفة من صناع الأخبار هم المراسلون. وهم أشخاص مكلفون من قبل وسائل الإعلام لتجميع الأخبار حول الأحداث المهمة التي تقع في مناطق العالم المختلفة أو في داخل الوطن. وهم الذين يؤثرون في كثير من الأحيان في مدى دقة المعلومة الخبرية أو ضعفها، لذلك كان لا بد من التدقيق في اختيار وتعيين كل من يتصدى لعمل المراسل أو المخبر أو المحرر في أي مؤسسةٍ كانت.

الفصل الرابع

الإسلام ومفهوم الاتصال الثقافي

الفصل الرابع

الإسلام ومفهوم الاتصال الثقافي

❋❋❋❋❋

لا غرو أن قضية الثقافة أصبحت هماً وهاجساً يشغل بال كل الأمم الحاضرة بعد أن أصبح صراع الثقافات أمراً واقعاً فرض ذاته على إنسان القرن العشرين وانتقل معه إلى القرن الحاضر. وبالنسبة للفرد العادى فإن كل ما يمكن أن يتلقاه من معرفة وعلم وفكر وفن ينصب في إطار المادة الثقافية بغض النظر عن نوعية وشكل وطريقة تقديم هذه المادة. ولا شك أن قنوات الإعلام الحديثة برعت في هذا الشأن أيما براعة وذلك من خلال برامج المعلومات والإضافات المعرفية العديدة.

وقد حوت الثقافة كل أشكال البرامج التي تهتم بالمعلومات وأحاديث التراث والأحاديث الأدبية أو أحاديث الثقافة بمفهومها الكلاسيكي الذي كان يصنف العلوم وفقاً للمنظور التقليدي القديم. ومن خلال هذا التفسير اهتمت قنوات الإعلام بهذه المواد سواءٌ كانت شعراً أو نثراً، قصصاً أو نقداً، تفسيراً أو تعليقاً الخ..

ومن خلال هذه النظرة المحددة لمفهوم الثقافة في قنوات الإعلام درجت كثيرٌ من المحطات لاسيما الإذاعات العربية على وضع البرامج الدينية ضمن الإطار الثقافي على أساس أنَّ تناولَ المسائل الدينية يعتمد هو الآخر على استنباط

النصوص الدينية والموروثات الحضارية التي رسّخَها الدين. وهي بذلك روجت لهذا الشكل الإعلامي الذي اعتبره الكثيرون لباب البرامج الثقافية دون سواه. ومن هنا نجد أنَّ البرامج التي تُصنف على أنها برامج ثقافية قد اختطت لنفسها إطاراً محدداً ظلت تدور حوله لسنواتٍ عديدة ونادراً ما تحاول الخروج منه.

هيمنة الثقافة الغربية علي الإعلام الدولي

وسط هذا الكم الهائل من هيمنة الإعلام على الثقافة استخدمت الثقافة الغربية أساليب كثيرة للنفاذ إلى المجتمع المسلم منها استغلال حاجة المسلمين للغذاء والدواء والتعليم وغيرها، فوضعوا لتوطين هذا الأسلوب مايدفع المسلمين إلى الاقتناع بثقافتهم. وتوالت نتيجةً لذلك المآسي على المسلمين من حروبٍ وكوارثَ طبيعيةٍ خلقت جواً من الرعب والتخلف في بلاد المسلمين. وقد برز هذا جلياً من خلال التشريد والجوع والضعف والتخلف في كثير من البقاع.

وقد سعت الثقافة الغربية حثيثاً لتجزئة العالم الإسلامي حتى أضعفته وصار منهوك القوى عديم الحيلة ولم يجد غير التبعية والانقياد لما سُمي بالثقافة الغالبة. واجتهد أعداءُ الإسلام في بث حضارتهم ودينهم فقاموا بتشجيع بناء الكنائس والمراكز الثقافية والجامعات التي نبغت في بث ثقافة الغرب وتشجيع النصرانية وإقامة المحطات الإذاعية والتلفزيونية في ديار المسلمين.

ولم يتوانَ الذين أقاموا هذه المراكز في التصريح بأنهم أقاموها على النمط الغربي لتنشر ثقافتهم على حساب ما اعتبروه ثقافةً متخلفة يجب اجتثاثها تارةً باسم الأصولية وتارةً باسم الإرهاب وتارةً بدعوى عدم مواكبتها للتقدم الحضاري

الحديث. وفي إطار هذا التوجه انتشرت المعارف الغربية من خلال هذه المؤسسات النشطة وبرزت المؤلفات الغربية والأفلام والبرامج والأعمال الفكرية. وسعت الدوائر القائمة على هذا الأمر إلى تيسير تعليم اللغات كالإنجليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية. وزرعت من خلال ذلك اعتقاداً راسخاً بأهمية هذه اللغات وسطوتها على لغات المسلمين.

وشيئاً فشيئاً سادت بين الكثيرين قناعةٌ بأنَّ ما عندهم من ثقافة لا يرقى إلى مستوى الثقافة الغربية التي لا بد من ولوجها واتباعها لكل من يريد أن يلحق بركب التقدم والحضارة على نمط الحياة الغربية مهما كانت معطياتها وإفرازاتها.

ومن خلال ذلك استخدم الغربيون كل أساليب التكنلوجيا الحديثة في فرض ثقافتهم وعمل الدعاية لها. وشمل ذلك استخدام الراديو والتلفزيون والمجلات والصحف ثم البريد الالكتروني وشبكة الانترنت والقنوات الفضائية والأقمار الصناعية التي انتشرت في كل بقاع العالم. ولما وجدوا فراغاً كبيراً في تكنلوجيا العالم الإسلامي عموماً وضعوا البديل الجاهز الذي وجد قبولاً سريعاً، فامتلأت الساحات بمعطيات الثقافة الغربية.

والثقافة الغربية في سعيها لترسيخ هذا الأمر رسخت بالمقابل مفهوماً صار كالعقيدة وهو أهمية تعلم الحاسوب واستخدام الإنترنت لكل من أراد أن يواكب ركب التطور الحديث. وبالفعل جعلت من هذا الحاسوب عنصراً أساسياً وضرورياً تستحيل الحياة بدونه. وسعت في ذلك لتعليم الناس كل أساليب استخدامه حتى غدا من لا يعرف ذلك في عداد الأميين والمتخلفين الذين لا وزن لهم في المجتمعات المعاصرة. ولعل هذه دعوة حقٍ أريد بها باطل. حيث إنَّ الحاسوب ودون أدنى ريب

يشكل عنصراً مهماً وسريعاً في شتى مجالات الحياة. ولكن السم الذي يُدسُ في الدسم يظهر للعيان بمعنى أن أهل الغرب لم يكن في حسبانهم خدمة ثقافة الإسلام أو غيره من معتقدات الشعوب المختلفة وإنما الذي قصدوه هو أن تتبعهم الشعوب وتكون تحت إمرتهم مستغلين في ذلك هذه التكنولوجيا الراقية. وقد انقدنا لهم نحن المسلمين طائعين مختارين ولم نستفد من إيجابيات هذه التقنيات إلا في أضيق إطار. ولذلك فهم يدركون هذا الضعف في المسلمين فبنوا عليه الكثير من استراتيجيات نشر ثقافتهم وقد نجحوا إلى أبعد الحدود.

ومن ضمن ما لجأت إليه الدوائر ذات الغرض في نشر الثقافة الغربية بين المسلمين هو استغلال المناصب السياسية والقنوات الإعلامية ذات الأثر لتكون أكثر فاعليةً في بث ونشر الثقافة الغربية. ورغم أن الظاهر هو ابتعاد الأثر الثقافي عن السياسي إلا أن الذي يبدو من خلف الستار هو أن المناصب السياسية قد تمَّ تسخيرها بشكل كبير لخدمة فرض الثقافة الغربية علي مجتمعاتنا، وهذا أمرٌ لا تخطئه العين.

ومن خلال ذلك تمَّ استخدام السينما والتلفزيون أكثر من غيرهما طوال سنوات القرن العشرين وما لحقه. وانتشرت الأفلام التي حوت كثيراً من محتويات الثقافة الغربية في معظم بلادنا وراجت بين الناس بحكم أن أثمانها الزهيدة قد ساعدت في ذلك. وكان دور الأدب أوسع في المراحل السابقة. حيث طغت الرواياتُ والمسرحيات والمؤلفات على كثير من مناهج التعليم والمعاهد الخاصة في عالمنا الإسلامي. وراجت معطيات الغرب الأدبية بشكلٍ كبير جعل منها وجبةً دسمة لا بد من تناولها لكل من أراد التعلم أو تثقيف ذاته، وهو أمر مدروسٌ

ومرصود ولم يحدث بين عشيةٍ وضحاها. وهذا العنصر من عناصر وأساليب بث الثقافة الغربية إنما ارتكز على استراتيجية ظهر في بعض مراحلها أنها تقوم بدس السم في الدسم، وذلك باستخدام الأساليب الهادئة والإمكانيات المتاحة عبر كل أدوات التعبير المتعارف عليها.

لقد ساعد في ذلك جاذبية الأدب لاسيما أدب الرواية والقصة القصيرة في الغرب. فساد بين الناس حب الثقافة الغربية ليس فقط لجمال سردها بل محاولةً للتيمن بواقعها والتمرد على الواقع المعاكس لها الذي عاشه المسلمون وبقية شعوب الأرض أينما كانوا. ومن خلال ذلك راجت بين الناس معطيات السلوك الغربي رغماً عن تباينها مع معطيات سلوكنا. وسمت بين الكثيرين فكرة الأخلاق التي يحملها الغربيون وهي فكرة منافية تماماً لما جاء به الحق ﷻ، وهذا هو مكمن الخطورة.

وشيئاً فشيئاً تشوهت صورة القيم الاسلامية، وضعفت عرى العلاقات الاجتماعية حتى صار لقاء المسلم مع أخيه المسلم على صعيد المحبة والإخاء ضرباً من ضروب المستحيل في بعض المجتمعات التي تأثرت أكثر من غيرها. ومن خلال ذلك ظهرت المفاهيم الغربية بشكل أشد مما تصوره الغربيون أنفسهم.

وصار الكثيرون من شباب المسلمين أكثر التصاقا بالاتجاه الفكري المتفرنج والذي ينافي عقيدة الإسلام في كثير من جوانبه. وضعفت تدريجياً في الشباب حمية التدين وتشوشت فكرة الأخلاق. وأصبح إظهار الثقافة الإسلامية أقرب إلى العيب الذي يحتاج إلى الستر في حين سمقت مظاهر الثقافة الغربية بدءاً بمظهر الملابس مروراً بطريقة الكلام ثم التعامل مع التقنيات المتحركة مع الإنسان

كأجهزة الاستماع الذاتية والهواتف النقالة والكتابة على خلفيات القمصان الصارخة وشكل الدراجات النارية أو السيارات الحديثة وغير ذلك من المظاهر التي استهوت الشباب وهي لا تعدو أن تكون ضعفاً وهواناً واستلاباً لا طائل من ورائه. وكانت النتيجة في كثير من الأحيان استخفافاً بالعقيدة وتهويناً من شأن حفظ كتاب الله وابتعاداً عن منهج المسجد وضياعاً في خضم الحياة التي لفظت أمثال هؤلاء من مسيرة الفضيلة.

السمات الخاصة بآلية فرض الثقافات

هنالك سمات خاصة سعى الغرب من خلالها لتوظيف مقدراته في صناعة بيئة اتصالية وبالتالي فرض الثقافة من جانب أحادي. وقد راعى من خلالها أن تكون هيمنته قويةً لا فكاك منها. ويمكن تلخيص هذه السمات فيما يلي:

1/ تجميع الشركات العملاقة العاملة في مجال الاتصالات بما يمكنها من التنافس والاستمرار وإحكام سيطرتها على دول العالم.

2/ اتساع عمل ومهام الشركات متعددة الجنسيات وما تقدمه من تيسير لنقل الثقافات المغايرة عبر كل القنوات المتاحة لها دون كلل.

3/ عدم قدرة الدول النامية علي التحكم في مسار المعلومات والبيانات وبالتالي الثقافات بحكم قلة حيلتها وتخلفها الكبير في هذا المجال.

4/ اتجاه وسائل الإعلام الحديثة نحو ما يسمي بالفردية الاتصالية ومخاطبة شرائح خاصة هي فئات القادرين على الدفع. وبعد أن تعرفت وسائل الاعلام على مشاكل هذه المجتمعات في الدول النامية بدأت في بث برامج بناءاً على هذه المشاكل.

5/ تزايد وسائل الاتصال لم يَقضِ على الفجوة بين فئات المجتمعات وإنما عمقها بحكم خلقه لفئاتٍ تمتعت بالتلقي بحكم قدرتها المالية.

ومن خلال ما تقدم ظهرت نتائج عديدة ترتبت على هذا السلوك يمكن إجمالها فيما يلي:

1/ وجود تيار مخالف للقيم والتقاليد التي تحدد معالم الهوية والشخصية الوطنية إلى جانب بروز تيار آخر تميز باختلافه عن معالم وهوية المجتمع العربي.

2/ إضعاف الانتماء إلي الوطن والأمة والتراث الحضاري من حيث الوجدان والمزاج، وبروز ما يمكن أن نسميه الاستلاب الثقافي والاغتراب عن الهوية والفكر، مما أسهم في فقدان الثقة بالذات وعدم التزام الجماعة.

3/ الانبهار بالثقافة الغربية أدى إلى توقف كثير من الإبداعات والابتكارات والتجديد في إطار الثقافة الإسلامية. وأصبح تقليد النماذج الوافدة هو السمة الأبرز. وبالتالي أصبح التمييز واضحاً بين نضوج العطاء الثقافي القديم لدى

المسلمين وتدهور عطاء الأجيال الحاضرة في كثير من ضروب المعرفة كالآداب والفنون بأشكالها المختلفة.

العالم الإسلامي والتدفق الإعلامي

أصبح التلفزيون منافساً خطيراً لوسائل التربية التقليدية في عالم اليوم. وإذا تجاوزنا محطات التلفزيون وشبكات الاتصال نجد أن أشرطة الفيديو وأسطوانات الليزر وشبكة الإنترنت قد أصبحت هي الأخرى منافساً خطيراً حتى للتلفزيون نفسه. حيث استطاعت هذه القنوات خلال العقدين الماضيين أن تغزو كل أنحاء العالم بما فيه العالم الإسلامي حاملةً الغث والسمين من المواد التي يشتريها الناس بشغفٍ شديد لما فيها من جاذبية وإمتاع وتشويق وفرصة للاختيار.

وقد شجع هذا الطرح بيوت الخبرة العالمية أن تنشط في مجال الدعاية لتستنبط أساليب جديدة للترويج لمنتجاتها وكسب مزيد من الزبائن. وأصبح أبناء الأمة الإسلامية هدفاً ضمن هذه الأهداف إن لم يكن الهدف الأكبر بحكم القوة الشرائية المعتبرة لديهم خصوصاً في منطقة الشرق الأوسط حيث تدر آبار النفط ثروة أصبحت هدفاً لكل الدول الغربية.

كل هذا والأمة الإسلامية محجمة عن تقديم بديل مقنع من خلال هذه القنوات الخطيرة. وفي سؤالٍ وُجه لقادة المؤتمر الإسلامي الذي انعقد بطهران عن إحجام الدول الإسلامية عن تقديم بديل إعلامي إسلامي للعالم من خلال وسائل الاتصال كان رد بعض القادة أن قنوات الاتصال بالعالم الإسلامي ليست لها القدرة على منافسة القنوات الغربية من حيث القوة والتكنيك، ولذلك لا يمكن مجاراة

الغرب في هذا المضمار. وحقيقةً إنَّ مثل هذا التصور لا يمكن أن ينصب إلا في إطار الجهل بحقائق الأمور، وذلك للأسباب التالية:

أولاً/ إنَّ شبكات الاتصال العالمية مفتوحةٌ لكل من أراد التعامل معها شريطة أن يدفع ما عليه من التزامات مالية.

ثانياً/ ليس هناك حجاب بين المتلقين في كل بقاع العالم وما تبثه هذه الشبكات خصوصاً الذين يستخدمون نظام الأطباق الفضائية Dishes.

ثالثاً/ إن المتلقي اليوم شغوف بمعرفة الحقائق وإدراك ما لا يعرفه بغض النظر عن المصدر مما يتيح فرصة قيمة لتقديم الرسالة الإسلامية التي تمتلك كل الحق دون سواها في عالم اليوم.

رابعاً/ لم يكن ادعاء القادة المسلمين بعدم التعامل مع القنوات الغربية صحيحاً بدليل أنهم سمحوا لتلك القنوات خلال العقد الأخير من القرن العشرين بأن تبث برامجها في بلادهم بدعوى أنهم لم يتمكنوا من السيطرة عليها.

لكل ما تقدم ظلت الغلبة في وسائل الاتصال العالمية الحديثة لمعطيات الثقافة الغربية، حتى تلك التي تبث برامجها من داخل العالم الإسلامي. ومن خلال ذلك ترك المسلمون عن قصد تقديم ثقافتهم التي هي الأكبر والأصدق بلا منازع

خلال هذه القنوات الهامة. واستعاضوا عنها بتقليد الشكل الغربي في الأداء والتكنيك والإخراج والتقديم. وكانت النتيجة أن تمكن الغرب من احتكار هذه القنوات وتأطيرها بالشكل الذي خدم الثقافة الغربية. ثم نجح الغربيون إلى حد كبير في تحييد عقول أبناء المسلمين بالشكل الذي أصبحوا فيه لا يثقون بأنَّ ثقافتهم الإسلامية تصلح بالفعل لتكون مادة ممتازة لهذه القنوات الحديثة.

وإذا نظرنا إلى خارج إطار الدول الإسلامية فإننا نلاحظ أنَّ هيئة الإذاعة البريطانية قد استفادت من تجارب مدارس تعليم اللغات المنتشرة في إنجلترا، وأعدت العديد من دورات التدريب المهنية من خلال استخدام المعلمين المتخصصين والمؤهلين تأهيلاً جيداً لتعليم اللغة.

ولم تكتف ببث البرامج عبر الراديو فقط، بل قامت بتسجيل هذه البرامج على أشرطة كاسيت وفيديو وأسطوانات ووزعتها على الدول المختلفة لتعميم الفائدة. وقد بدأت تمارس بالفعل ما سُمي بتبادل المعلومات والدروس بهذا الأسلوب الذي ساعد في تعلم أعداد كبيرة من الدارسين بأقطار العالم المختلفة للغة الإنجليزية. وقد تمكن عددٌ كبير من المستمعين من إتقان اللغة الإنجليزية نتيجة ذلك الأسلوب كما جاء في التقرير السنوي الذي أعلنته هيئة الإذاعة البريطانية في سبتمبر عام 1981م.

أما في شرق آسيا وبقية الدول الأوربية فقد استعانت وسائل الإعلام بأفرادٍ لا يجيدون اللغة العربية، مما أفسد لغة من يتابعون هذه البرامج. ومن ذلك إذاعة بكين وراديو سيول وراديو تيرانا وإذاعة ماليزيا وراديو بوخارست والإذاعة البلغارية. أما في أفريقيا فإن هناك بعض الإذاعات الناطقة بالعربية استخدمت

مذيعين من أبناء وطنها لقراءة الأخبار وتقديم البرامج. وقد ظهرت من خلال هؤلاء الإذاعيين لغة ركيكة لم تلتزم بالقواعد ولا بالتراكيب. ومن ذلك إذاعة جيبوتي وإذاعة الصومال وإذاعة تشاد وإذاعة إثيوبيا.

وهناك إذاعات اعتمدت العربية المكسرة مثل **(إذاعة إنجمينا)** في تشاد و **(إذاعة جوبا)**. وقد اضطرت هاتان الإذاعتان لذلك الاستخدام بحكم طبيعة المتلقين الذين أصبحت لغتهم هجيناً بين العربية واللغات المحلية. وقد انتشرت من جرّاء ذلك الاستخدام لغة ضعيفة أضرّت أكثر مما تفيد. ذلك لأنها اهتمت فقط بالمفردات التي توصل المعنى دون الالتزام بأي قاعدة أو تركيب.

المسلمون وتدفق المعلومات

تقع كل الدول الإسلامية في إطار ما يُسمى بمجموعة الدول النامية. وهي بعبارةٍ أخرى الدول الأقل نمواً. وتقف في مقابل الدول الكبرى التي تشمل الدول الصناعية في أوربا وأمريكا واليابان. وبملاحظةٍ بسيطة يتضح أن المعلومات ظلت تتدفق بصورة واضحة وجلية من الدول الكبرى على الدول النامية وبينها كل دول العالم الإسلامي.

ويرجع هذا إلي عدة أسباب منها أن الدول الكبرى ذات أدوات حديثه قد ساعدت في نقل وتبادل المعلومات بعدة طرق أهمها الأقمار الصناعية وشبكات الإنترنت والصحف والمجلات. وخلال مسيرة التطور البشري لجأت بعض الدول الغربية لاستعمار غيرها من الدول النامية في قارات العالم المختلفة لاسيما أفريقيا وآسيا، ومن خلال هذا الدور الاستعماري نهبت القوات الاستعمارية الكثير من

مقدرات وكنوز الدول الضعيفة والنامية التي وقعت فريسة للاستعمار. وبذلك انتقلت العديد من القطع الأثرية والمخطوطات والكتب والمؤلفات التي استنبطت منها أشياء ومعلومات ساعدت في كثير من الأحيان في نقل العلم وخلق طفرات في هذه الدول المستفيدة.

ومن الملاحظ أن المعلومات التي تخرج من البلاد الإسلامية تعتبر أكثر بساطة وأكثر محدودية إذا قارناها بالدول الكبرى. وذلك لأسباب كثيرة منها الظروف المحيطة بهذه الدول الإسلامية من تخلف وحروب أهلية زرع بعضها أبناء الدول الاستعمارية أنفسهم.

وقد تركت كثير من الدول الاستعمارية بصماتها وعاداتها علي الدول المستعمرة، فمثلاً بلاد غرب أفريقيا كانت في معظمها مستعمرات فرنسية، وبعد أن انحسر هذا الاستعمار تركت فرنسا لغتها وعاداتها وتقاليدها سائدة إلى اليوم. وأسباب تدفق المعلومات كثيرة ومتشعبة، يتلخص أهمها فيما يلي:

1/ التعليم:

جعل الله التعليم من الأمور المطلوبة لكل فرد رجلاً كان أو امرأة. وفضل الإسلام العلماء علي الجهلاء وحث علي طلب العلم. وفائدة العلم هي تدريب العقل علي إدراك الحقائق. وهنالك أقسام في العلم في نظر الإسلام منها علم الكفاية وعلم الفرض. ويقول الله تعالى: **(قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)**، كما قال تعالى: **(إنما يخشى الله من عباده العلماء)**، وقال صلي الله عليه وسلم: **(من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)**، و(إن الملائكة لتضع أجنحتها

لطالب العلم رِضىً بما يصنع). وقد اتفق العلماء قاطبة في كل العصور على ضرورة العلم والتعليم. أما في هذا العصر فقد توسع العلم حتى شمل كل أساسيات الحياة من علوم دنيوية كالطب، والاقتصاد، والتجارة، وغيرها من العلوم التي عادت علي الإنسان بالمنفعة العامة في حياته. وكشف باطن الأمور، وأصبحت دور العلم لا حدود لها، واتسعت مجالاتها حتى شملت المدارس والمعاهد والجامعات. ووفر نظام التعليم عن بعد فرصاً لكثير من الراغبين في العلم بعد انقطاعه. كما أتاح لهم تحقيق الكثير من النجاحات بواسطته ويسر لهم طرق الانتساب للجامعات والمعاهد العليا. وتمكنوا بالتالي من تحقيق الكثير من التغيير الاجتماعي في حياتهم.

2/ الإعلام:

اصبح الإعلام اليوم يؤدي دورا خطيرا في تشكيل الرأي العام، كما اصبح وسيله خطيرة جدا من وسائل التغيير الاجتماعي والتنمية، وبل وأصبح أداة وسلاحا ماضيا وفتاكا في صراع الحضارات والثقافات التي تتنافس علي تشكيل الفضاء الثقافي والعلمي.

والغرب اليوم يمتلك الأداة الإعلامية الأقوى التي يسعى من خلالها إلى جعل العولمة أمراً واقعيا. وهذه العولمة التي لا تعترف إلا بمركزية القيم الحضارية الغربية التي تنطوي علي أحادية ثقافية لا تعترف بغير الهيمنة وسحق حقوق الغير في الذاتية الحضارية والتنوع الذي تدعوا إليه الدول الغربية.

وينبغي على الإعلام بجانب التسلية والترفيه أن يلعب دورا أساسيا في التنمية الاجتماعية، كما ينبغي عليه أن يلعب دورا أكبر في تحقيق النمو الذاتي في

مجالات الحياة المختلفة حتى يفي بحاجات الإنسان الضرورية والكمالية المادية والفكرية والروحية بدئا بالتربية والتعليم ومرورا بتحقيق مجتمع التكافل والتراحم وتحقيق التنمية، وصولاً إلى قيم العدل والمساواة والحرية والسلام.

وإذا نظرنا للمعلومات من جانب القنوات المضادة للأخلاق العامة نجد أنها أصبحت تستهدف وترغب أصحاب النفوس الضعيفة والمراهقين بسحبهم عبر وسائل مغرية لإشباع رغباتهم الذاتية أو تنشيط الخلايا بواسطة المنشطات المدمرة التي قضت على كثير من الشباب وعلي العالم الذي يحب أن يعيش في حرية تامة وألا ينقاد لاستهداف العولمة.

وبالطبع فإنه لم يعد خافياً علي أحد ما تقوم به وسائل الإعلام مسموعة كانت أو مقروءة أو مرئية من دور فاعل ومؤثر في حياة الشعوب، وهذا الدور الذي أخذ طريقه في بداية النصف الثاني من القرن العشرين أصبح ملموساً ومتصاعداً في خضم التدفق الإعلامي الذي اتسع في عصر القنوات الفضائية.

ومع هذا التدفق الإعلامي وجد الإعلام المضاد طريقه من خلال حملات إعلامية مضللة ومغرضة عبر مختلف الوسائل مستهدفا النيل من إنجازات بعض الأمم وتراثها، والتقليل من شأنها، والتشكيك في قدراتها، والتعتيم على مختلف جوانبها الإيجابية.

وقد اعتمدت هذه الوسائل الإعلامية المضادة في كثير من الأحيان على تحريف الأخبار وتشويه المعلومات والدس المقصود بهدف قلب الحقائق في إطار الحملات الإعلامية المخططة التي تقوم على التضليل والتمويه. وقد اشتكى كثير من أبناء البلدان المحافظة من أن قنوات الإعلام العالمية المتاحة اليوم تمتلئ بالمشاهد

غير الأخلاقية التي تقود إلى نتائج سلبية. وعند متابعتنا لهذه القنوات وجدنا أن أساليب الأداء غير الأخلاقي قد تشعبت وتنوعت، ويمكننا حصرها فيما يلي:

1/ المشاهد الجنسية الفاضحة.

2/ الشذوذ بأشكاله المختلفة كالسحاق واللواط.

3/ المشاهد العارية وتصوير كل مفاتن الإنسان دون حياء.

4/ المشاهد المقززة للنظر كالأجساد الممزقة بفعل القتل أو الحرق أو الكوارث.

5/ التفرقة العنصرية من خلال العديد من مشاهد الاستعباد والاضطهاد.

6/ استغلال مشاهد الفقر والعوز لأغراض سياسية.

7/ استفزاز المشاعر الدينية بتصوير مشاهد التخلف على أنها لباب الدين.

9/ محاولات تحييد المتلقي لتقبل الأمور التي يرفضها.

10/ الدعاية المضللة بتزيين القبيح من أجل إثراء الجماعات الجشعة.

11/ تعمد التعتيم على إيجابيات العالم الثالث وإبراز عيوبه قدر المستطاع.

12/ تغييب معطيات الحضارات البشرية غير الغربية المعاصرة.

13/ فرض النظرة الغربية على الشعوب وتجميلها بما فيها وما ليس فيها.

14/ عدم إعطاء الفرصة للرأي الآخر عند طرح الأمور الحساسة للبحث.

15/ الكيل بمكيالين تجاه العديد من القضايا والإصرار على الإقناع بصحتها.

ومن خلال هذه النقاط نستطيع أن نؤكد الدور السلبي لكثير من قنوات الإعلام الدولي الذي روج للخلاعة وترسيخ للقيم المادية علي حساب القيم

الأخلاقية والدينية والحضارية. ولم يعد هذا الأمر خافياً أو مستوراً وإنما هو مكشوف ومفضوح ويتجلى بأوضح صوره في قنوات الاتصال. ولا شك أن كل هذا يضر بقضية التنمية البشرية التي من مقوماتها الأساسية نشر الحقيقة وإشاعة الفضيلة وبث القيم بين الناس.

وتبقى النتيجة الخطيرة وهي تأثير هذا الإعلام علي الشباب في خلق قناعات ومؤثرات لا تفيد أحداً وإنما تهدم ما تبنيه الوسائل التربوية في شتى بقاع العالم. ولذلك فلابد من الانتباه إلي هذه الأمور والتعامل معها بجدية وذكاء. ولا بد من بسط الحريات للناس، وتمكينهم من التحصيل والانتقاء في التلقي، وضرب كل مكامن الفساد مهما كانت قوة مالكيها وسيطرتهم على مقاليد الأمور في أي بقعة من بقاع العالم.

ولتمكين الفرد من النجاة بنفسه لا بد من توفير سبل التعليم المنتج والحصول علي المعلومات التي تساعد في المشاركة في الحياة والقيام بالدور كاملاً في الحياة الاجتماعية والفكرية بغرض تقديم الأفضل لخدمة الإنسانية. وفي إطار هذا يكون الشعار المرفوع هو قوله تعالى: ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**﴾ [249]، ﴿**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب**﴾ [250]، وقوله تعالى: ﴿**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**﴾ [251].

---

[249] قرآن كريم، سورة آل عمران، آية 104.

[250] قرآن كريم، سورة الزمر، آية 9.

[251] قرآن كريم، سورة المجادلة، آية 11.

شكوى المسلمين من القوى الاستعمارية

في الثلث الأول من القرن العشرين كانت معظم البلاد الإسلامية قد وقعت تحت سيطرة الغربيين المستعمرين الذين ضاعفوا جهودهم ليستولوا على خيرات هذه الدول. وقد اجتهدوا في تحقيق هذا الأمر وعملوا علي بث ثقافتهم ومحاربة كل القيم التي وجدوها بهذه المجتمعات المحافظة.

وقد هيمنت البلاد الاستعمارية مثل إنجلترا وفرنسا وإيطاليا والبرتقال علي الدول الإسلامية ضمن مجموعة العالم الثالث، وتقاسمت الأمر فيما بينها. وبذلك انقسم العالم إلى كتلتين شمالية وجنوبية. الأولى هي الحاكمة والثانية هي المحكومة. وسادت الإرادة الغربية في هذه البلاد التي أصبحت تُسمى بالمستعمرات. وتم استغلال كل مواردها الطبيعية والبشرية التي سُخِّرَت لمصلحة الدول الغربية المستعمِرة فأسهمت في إنعاش اقتصادها بكل مجالاته الصناعية والزراعية والتجارية وغيرها. ونجحت في تصدير العديد من المنتجات التي ازدهرت بفعل النهب والسلب وأخذ مقدرات الشعوب المستضعفة.

وظهرت فيها مشاريع تعبيد الطرق والموانئ والمصانع والمحالج والخزانات والجسور. وارتبطت أطرافها بخطوط السكك الحديدية، والخطوط الجوية. وطور المستعمر أساليب التعليم في بلاده وحرم منها المستعمرات.

وإمعانا في هذا الاستلاب فقد فرض لغته على أبناء المستعمرات فأصبحت اللغات الغربية من إنجليزية وفرنسية وبرتغالية وألمانية وإسبانية هي السائدة في بلدان العالم لتتراجع كثير من اللغات الأخرى لا لشيء إلا لأنها ليست لغة المستعمرين. من أجل هذا ظهرت العديد من الحركات التحررية ضد الاستعمار مثل

القائد عمر المختار في ليبيا، وأحمد عرابي وسعد زغلول في مصر، وقبلهم محمد أحمد المهدي في السودان وغيرهم من قادة الثورات الإسلامية. وكانت شرارة التحرر قد استشرت بين الشعوب. وتكاتفت هذه الحركات التحريرية ووقفت بكل قوتها ضد المستعمرين، ودفعت الغالي والنفيس من دماء وأرواح أبنائها حتى نالت استقلالها وتحررت من سطوة الأجانب المستعمرين. ولكن ثبت بعد ذلك أن هؤلاء المستعمرين عندما خرجوا تركوا وراءهم إرثاً ثقيلاً من الأنظمة الإدارية والمالية والعسكرية والتعليمية.

واكتوت المستعمرات بفداحة الخطب الذي وقعت فيه حتى بعد تحررها فألقت باللائمة على من سلبوها إرادتها وصاغت الاتهامات ضد هذه القوى الاستكبارية. وعقدت المؤتمرات لمناقشة هذا الأمر وكيفية التحرير من هذا الإرث الثقيل والتبعية الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية التي فرضتها دول الاستعمار.

ومن بين أهم هذه المؤتمرات مؤتمر لومي الذي شهد توقيع اتفاقية لومي الأولى ثم أعقبته اتفاقية لومي الثاني لما سمي بحوار الشمال والجنوب. ولكن لم تفض هاتان الاتفاقيتان لنتائج ملموسة بحكم تملص دول الشمال الغنية من مسئولياتها تجاه دول الجنوب الفقيرة.

بعد ذلك شعر أبناءُ دول الجنوب قاطبةً بأنهم قد أصبحوا فريسة للإعلام الغربي الذي جردهم من قيمهم ووصمهم بالتخلف والجهل. وأصبح يكيل لهم سيل المعلومات والبرامج والمواد التي فرضت نفسها فرضاً من خلال ما سمي تدفق الأخبار والمعلومات. في كل ما تقدم ظل أبناء الجنوب الفقراء مجرد متلقين سلبيين لبضاعة

من استعمروهم في الماضي ولم تجد موادهم الإعلامية ولا الثقافية حظها من خلال قنوات الاتصال العالمية المهيمنة. ولذلك عقد وزراء 52 دولة من دول عدم الانحياز مؤتمراً في العاصمة الهندية نيودلهي في عام 1986م وطرحوا فيه قضيتهم ضد الإعلام العالمي. وتوافق ذلك مع انعقاد مؤتمر آخر في سان ريمون بكوستاريكا لمناقشة الهيمنة الغربية وفرض المعلومات وعدم بث ما لدى الشعوب المستضعفة التي ظلت على هامش الأضواء.

وعلى العموم هناك اختلاف في تدفق المعلومات بين الدول الكبرى والدول النامية. حيث إن مجتمعات الدول النامية يخضع فيها الفرد لسلطان العادات والتقاليد. ووسائل الإعلام في هذه الدول والمجتمعات البدائية متأخرة إلى حد كبير مما أثر في قضية التنمية لديها. وكان تعدد اللغات في هذه الدول أو المجتمعات عائقاً لتحقيق الغاية من الإعلام. ولذا كان لزاماً على الدول النامية أن تسعى لتحقيق أمرين هما:

أولاً/ تحسين تقنيات وتبادل المعلومات من حيث التغلب على الصعوبات المنطقية في جمع ونشر المعلومات التي تهمها.

ثانياً/ فتح قنوات اتصال ذات فعالية تساعد في قضية التنمية بشقيها البشري والاقتصادي.

إذن فإن الواقع الذي عاشه بنو الإنسان خلال السنوات الأخيرة من القرن العشرين قد فرض عليهم كثيراً من المعطيات التي اقتضت إمعان النظر في واقع

الشعوب. وهذا الإمعانُ لا بد أن يكونَ متسقاً مع الحقائق وليس مجرد الوهم أو الخيال الذي لا يُفضي إلى شيء.

الفصل الخامس

الإسلام وحرية
التعبير الإعلامي

الفصل الخامس

الإسلام وحرية التعبير الإعلامي

❄❄❄❄❄

لاشك أن الإنسانية على اختلاف عصورها قد سعت جاهدة للوصول إلى تحرير الفرد من أي ضغطٍ أو إكراه، حتى يكون في وسعه إذا ما تجرد من الخوف والجوع وسائر ما يؤثر في إرادته أن يكون حراً طليقاً، فيستطيع التعبير عن ذاته، والاستفادة بملكاته في سائر جوانب الحياة التي يعيشها.

ومنذ أكثر من الفين وخمسمائة عام ظل الناس يكافحون من أجل الحصول على حرية التعبير والنقد للقضايا الاجتماعية والدينية والسياسية والاقتصادية. وقد واجه الناس في معظم الأوقات ومعظم المجتمعات مخاطر التعرض لعقوبات شديدة تصل إلى حد القتل بسبب أفصاحهم عن آرائهم أو حتى مجرد إبداء رغبتهم في التعبير عن آرائهم بوضوح وحرية.

وهناك العديد من الحكومات تنظر إلى نقد سياساتها الرسمية باعتباره شكلاً من أشكال العداء للدولة يستحق صاحبه الاعتقال والتشريد والسجن والإعدام أحياناً. في حين يرى الأشخاص الذين يؤمنون بحرية التعبير أن هذه الحرية تدعم الحكومة، وتؤكد مسؤلياتها في تلبية حاجات الناس. ذلك أن حرية الناس في التعبير عن مشكلاتهم وآمالهم تتيح الوصول إلى حلول مقبولة عقلانية لتلك المشكلات. وهناك من يؤمنون بأن وسائل الاتصال والإعلام ينبغي أن تخدم الحكومة من خلال

مساعدتها على كسب تأييد الناس للسياسات التي تضعها لتلبية حاجات المجتمع. ووفقاً لهذه النظرية فإن انتقاد سياسات الحكومة يمكن أن تنتج عنه حالة من عدم الرِضى، أو السخط العام الذي يستوجب عقاب من يقوم به.

ورغم أن البشرية تعيش اليوم في القرن الحادي والعشرين إلا أن المناظرة بين المدافعين عن حرية التعبير والمعارضين لها ما زالت مستمرة. والحرية في مفهومها العام تعني إزالة القيود وممارسة الحقوق الأساسية للإنسان في أي زمان ومكان، وهي بذلك التعبير الحقيقي عن جوهر الإنسان.

والكلمة يمكنها أن تتنزل على حرياتٍ بعينها يحتاجها بنو الإنسان ويتعاملون معها كلما احتاجوا لجوٍ معافى للبوح عما في نفوسهم. وذلك يتمثل بشكلٍ كبير في حرية الإعتقاد، وحرية التعبير، وحرية القول، وحرية التجمع، وحرية النقد، وحرية البيع والشراء، وحرية التنقل، وحرية التنظيم، وغيرها.

فلسفة الحرية وبروز النظريات

في إطار تنفيذ الحريات وحمايتها إزاء سلطة الدولة شهد التاريخ الإنساني عدة نظرياتٍ وفلسفاتٍ ومذاهبَ سياسية واجتماعية وقانونية حاولت جميعها أن تضع الإطار القانوني للحريات والأسس الواضحة لسلطة الدولة تجاه هذه الحريات التي تُمنح للشعوب أو تُؤخذُ بالقوة والاقتدار. وفي معظم هذه المذاهب بَرَزَ عُنصرٌ مهمٌ هو أنَّ الحرية لا تُمنح وإنما هي حقٌ طبيعي للإنسان لا يسلبه إياهُ أحدٌ مهما كان شأنه سواءٌ السلطة أو أي قوىً مهيمنة. وكان من أبرز هذه المذاهب ما ظهر من خلال نظريتي: (**الحق الطبيعي**)، و (**الحقوق الفردية**).

أولاً/ نظرية الحق الطبيعي

نشأت هذه النظرية على أساس سلطة الدولة طبقاً لمبادئ القانون الطبيعي لحرية الأفراد. ولما كانت حقوق الإنسان وحرياته في المقدمة وهي أساس القانون الطبيعي فإن هذه الحقوق والحريات ثابتة دائمة مطلقة تزول فقط بزوال الإنسان نفسه، ويجب ترسيخاً لذلك أن تلتزم أي تشريعات بأحكام هذا القانون الطبيعي ومبادئه الأساسية القائمة على العدالة المطلقة.

وقد نشأت نظرية الحق الطبيعي هذه عند الإغريق. وقد شهدت في بداية الأمر مرحلة تقنين أكثر دقة عند الرومان، ثم بلغت مجدها خلال الثورة الفرنسية التي منها انطلقت صيحة الديمقراطية في العصور الحديثة. وعلى أساس تشريعاتها بنت معظم دول العالم وثوراته دساتيرها ومَبادِئَها القانونية والسياسية والديمقراطية منذ بداية القرن التاسع عشر.

ثانياً/ نظرية الحقوق الفردية

تمثل هذه النظرية المرحلة المتطورة لنظرية الحق الطبيعي. وقد استوحت مبادئها وأسسها الفلسفية والقانونية من نظرية العقد الاجتماعي لجان جاك روسو. وتقوم على أن للأفراد حقوقاً وحريات طبيعية دائمة تمتعوا بها قبل أن تعرف المجتمعات فكرة الدولة، وأن هذه الدولة قامت في مرحلة لاحقة لا لترث هذه الحقوق وتسلبها من الأفراد، وإنما لتحميها وتدعهما وتنشئ الأنماط والأساليب التنظيمية لها فقط. وأي خروج من الدولة على ذلك بإهدار الحريات أو تقييدها أو المساس بها يعتبر تجاوزاً منها لوظيفتها الاجتماعية والسياسية والقانونية بشكل

يؤدي إلى سقوطها. وكانت هذه النظرية هي الأساس لإعلان الحريات الأمريكية في عام 1775م الذي صدر مع بواكير الاستقلال الأمريكي عن التاج البرطاني. كما كانت أساساً لإعلان حقوق المواطن الذي أفرزته الثورة الفرنسية، وقد كان صدوره في عام 1789م.

ووفقاً لهذا الإعلان فإن الإنسان يولد ويعيش حراً متساوياً في الحقوق مع غيره، وأن هدف كل مجتمع هو رعاية هذا الحق والمحافظة قدر المستطاع على هذه الحقوق الطبيعية الثابتة وحمايتها من تغول الجهات المتوقع منها أن تتغول في أي مرحلةٍ من المراحل، وأنَّ ممارسة هذا الحق لا بد أن تكونَ متاحةً تحت كل الظروف دون قيدٍ أو شرط إلا القدر الذي يكفل معها حماية حريات الآخرين وحقوقهم في فعل الشيء نفسه داخل إطار المجتمع.

ورغم أن هذه المبادئ نشأت عند الاغريق والرومان في حضارتيهما القديمتين، وتقننت من خلال الثورة الفرنسية التي جاءت مناراً للحرية عند شعوب العام إلا أنها مازالت تمثل إلهاماً واضحاً لكثير من مشرعي الدساتير والقوانين في الدول إلى يومنا هذا، خصوصاً في الدول حديثة الاستقلال. إلا أن القرن العشرين المنصرم شهد بروز ثلاثة أحداث مهمة ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بفلسفات الديمقراطية ونظريات حقوق الإنسان وهي:

1/ بروز دور النظرية الماركسية اللينينية وانتقالها من مرحلة الفلسفة النظرية إلى مرحلة التطبيق العملي بعد قيام الثورة البلشفية في عام 1917م والتي أفضت ضمن ما أفضت إلى نشأة الاتحاد السوفيتي السابق.

2/ اجتياح النازية والفاشية للعالم بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، وقد قامت كلتهاما على فلسفة العنف، والعنصرية، وتعاظم دور السلطة إزاء حقوق الإنسان وحرياته العامة والخاصة.

3/ توقيع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في عام 1948م والإتفاقيات الدولية المكملة له من خلال الأمم المتحدة التي بلغت أكثر من 20 اتفاقية.

مفهوم الحرية في الفكر الإسلامي والإنساني عموماً

من الطبيعي أن تتعرض حقوق الإنسان وحرياته لكثير من الضغوط خلال المسيرة الإنسانية الطويلة، ومن الطبيعي أيضاً أن تصاغ هذه الحقوق وتتأكد الحريات عبر الكفاح الطويل لبني الإنسان ضد الكبت والقهر والظلم والاستعباد، كي يحتفظ كل فرد بحقه الطبيعي في حريته وكرامته، ويمارس حقه في التعبير والعقيدة والعدل والمساواة. وعلى هذا الأساس يمكن القول إن الحرية بمفهومها الواسع حق طبيعي ثابت وراسخ للإنسان بصرف النظر عن جنسه أو عقيدته.

كما أن الحريات العامة ليست منحة من أحد، وإنما هي حق طبيعي وأساسي من حقوق الإنسان الذي ميزه الله ﷻ على غيره من سائر المخلوقات بالعقل والفكر. والكفاحُ القائمُ الآن ومنذُ أقدم العصور ليس كفاحاً لإثبات ضرورة الحياة وحتمية التمتع بها بقدر ما هو كفاح من أجل إلغاء التمييز والتفرقة في استخدام الحريات. وهو ليس حكراً لأحد دون سواه، وإنما ظل ملازماً للإنسان أينما كان. ولا شكَّ أن الطُغاةَ في كُلِ زمانٍ ومكان هم الذين يبيحون الحريات

لأنفسهم وينكروها على غيرهم، وهم الذين يتفاخرون دائماً بحبهم لها ورعايتهم لأسسها في الوقت الذي يطبقون عكسها تماماً. ولذلك ظل الصراع قائماً منذ القدم على قضية الحريات لوضع الأسس والقواعد القانونية المحددة لحقوق الإنسان وحرياته، تحت حماية القانون والتشريعات. وفي ظل الالتزام الأدبي والأخلاقي قبل الالتزام السياسي.

ومنذ نشوء السلطة في المجتمعات البشرية والإنسان يحاول أن يمزج بين الحقوق والواجبات وأن يوفق بين حقوق الإنسان الفرد وحرياته من ناحية وبين حقوق المجتمع ومصالحه العامة وضوابط سلطته من ناحية أخري، خاصة وأن السلطة باسم المصلحة العامة للمجتمع، كثيراً ما تنتهك حقوق الإنسان وتهدر حرياته العامة والخاصة.

أما إذا وقفنا على النصوص في الدين الإسلامي الحنيف فإننا نجد أن القرآن الكريم قد أشار لمفهوم الحرية في العديد من الآيات التي حضت على حرية التعبير والرأي، حيث قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيْ**﴾ [252]، وقال تعالى: ﴿**لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾ [253]، كما قال أيضاً: ﴿**وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [254].

وقد دلت سنة النبي ﷺ القولية والفعلية والتقريرية على هذا المعنى. وبذلك نجد أن الدين الإسلامي استند إلى النظر العقلي والاعتبار بسنن الله في الخلق وعدم

[252] قرآن كريم، سورة البقرة، آية 256.

[253] قرآن كريم، سورة البقرة، آية 286.

[254] قرآن كريم، سورة النحل، آية 125.

اتخاذ سلطة دينية، وهي أصول لاتؤدي إلى حرية الرأي والتعبير فحسب، بل تزكيها وتقتضيها. فمثلاً في مجال السياسة دلت الأحداث المتواترة على إعمال الرأي في أدق الأمور وفي مواجهة الحكام فضلاً عن المجال العلمي.

ويكفي أن جمهرة المسلمين قد بحثوا في الأرض والسماء وما بينها دون التزام رأي مسبق في دين أو نص مقدس. فقد دعاهم الله ﷻ إلى السير في مناكب الأرض وكشف حقائق الكون وإعمال العقل والجهر بالرأي. فجاءت الكشوف العلمية تترى على أيدي علماء المسلمين. واستقر الإيمان في نفوسهم بالعقل وشريعة الإسلام كما لم يستقر في أي نظام آخر عرفته البشرية.

وكانت الدعوة إلى انتفاء الحصانة عن الناس أصلاً ثابتاً في الإسلام حتى لا يتفاضل الناس بألوانهم ولا أعراقهم وإنما بالتقوى فقط. كما جاءت دعوة العفو والتسامح كجزء أساسي في شريعة الإسلام.

وكان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو قطب الرحى الذي ابتعث الله له الرسل والأنبياء كما قال الإمام الغزالي رحمه الله. وبذلك كانت حرية الرأي والتعبير هي جوهر الإسلام، وضرورة من ضرورات الإيمان به. وقد كانت هذه الحرية واقعاً ملموساً منذ عهد الرسول ﷺ واستمرت في عهد الخلفاء الراشدين، ولم ترفعها نصوص ولا قوانين رغم سوء الممارسة الذي طرأ في مراحل لاحقة بعد تدهور أحوال الناس وسوء تعاملهم مع الحريات.

والنظرية الإعلامية الأساسية قامت على مبدأ الحرية الإعلامية، لأن الحرية حقٌ وواجبٌ لكل إنسان سواء كان مرسلاً أو مستقبلاً للرسالة الإعلامية. وواجب الآخرين هو رعاية هذا الحق الإنساني على أساس أن حق الفرد على المجتمع واجب

ملزم للجماعة بأسرها. وتعتبر الحرية الإعلامية تتويجاً لمبدأين أساسيين هما: (**المسئولية**)، و(**الواجب**). والمسئولية ليست مسئولية الضمير أو مسئولية القانون فحسب وإنما هي مسئولية الإنسان أمام الله. وهي مسئولية لا تقف عند الحدود الظاهرة من الأقوال والأفعال بل تتناول النوايا وما تخفي الصدور.

والله سبحانه وتعالى عليمٌ بما في الصدور، ولا تغيب عنه صغيرة ولا كبيرة في السموات ولا في الأرض، وقد برز ذلك صريحاً وواضحاً في قوله تعالى: ﴿**فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[255]، وقال تعالى: ﴿**وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**﴾[256]. والإنسان مسئول عن نواياه، ومسئول عن أعماله أمام الله مباشرة. ولكل عمل جزاؤه، ولكل حسنةٍ ثوابها.

والجماعة الإنسانية مسئولة عما تعمل سواءً بسواء، إن قصرت في أدائها لقيت من جزاء الله ما يلقى الفرد من جزائه. ومن هذه المسئولية يبرز الواجب، فما يعد حقاً للفرد أو المجتمع هو فرض واجب على الفرد للفرد وعلى المجتمع للفرد، وعلى الدولة للفرد والجماعة معاً.

والجماعةُ الإسلامية كل متكامل يلتقي فيها الفرد بالمجتمع في نظام يحكمه الواجب الذي يرقى لدرجة الإلتزام، ويفوق الواجب كل إرادة أخرى للفرد، وهو الذي يحدد معنى الحرية ومداها. وفي قوله تعالى: ﴿**يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾ [257] ما يفصح عن حكمة التشريع الإسلامي، وهي سعادة الإنسان

---

[255] قرآن كريم، سورة البقرة، آية 115.

[256] قرآن كريم، سورة يس، آية 79.

[257] قرآن كريم، سورة البقرة، آية 185.

وأمنُه دون غُلُوٍ أو إسراف. والشريعة الإسلامية تحكم علاقات الإنسان كما تحكم عقيدته الدينية، وهي التي تحدد مضمون الحرية. إذن فالحرية ليست مطلقة وإنما تحكمها حريات الآخرين من خلال علاقات الإنسان بغيره. وهي التي تحدد مضمون الحرية، فالحرية ليست مطلقة ولكنها تحمل بذرتها القيود التي تحكمها. والحرية المطلقة لا شك أنها مدمرة تدميراً كاملاً، فإذا تمَّ تقييدها كان ذلك في مصلحة الأفراد والمجتمع على السواء.

وفي إطار هذه الحقائق تتحرك الحريات الإعلامية، وهي تقوم على أساس من الثقة في التزام الأفراد طواعية بمصلحة الفرد والمجتمع، وهي في الوقت نفسه قيم الإنسانية ومبادؤها ومعانيها في كل زمان ومكان. وبذلك لا يكون هناك فرض أو رقابة أو تدخل بأي شكل من الأشكال في عمل القائمين بالاتصال سوى التدخل الذاتي أو المسؤولية الذاتية أمام الله ﷻ.

كما أنها لا تتدخل في حرية المستقبلين للرسالة الإعلامية الذين يتعرضون للمواد التي يختارون بأنفسهم أن يتعرضوا لها. أما القيد الوحيد الذي تضعه النظرية الإعلامية الإسلامية على حرية العمل الإعلامي فهو قيد الأخلاق الذي يستمد مقوماته من القيم الثابتة للدين الإسلامي.

وهدف النظرية الإسلامية من إقرار هذا المبدأ يستخلص في حق كافة القائمين بالإتصال على العطاء بلا حدود، وتكريس إمكانياتهم ومواهبهم من أجل نشر وتدعيم القيم الدينية من ناحية، وتهيئة الظروف التي تجعل جمهور المستقبلين للرسالة الإعلامية يتلقوها دون تحفظ من ناحية أخرى. وهذا بالطبع يدعم ثقة

الأفراد في أنفسهم ثم ثقتهم في بعضهم البعض. كما أنه يجعلهم أقدر على الصلابة والصمود ومقاومة التحديات التي تواجه المجتمع الإسلامي في كل عصر وأوان.

الإسلام بين حرية الصحافة والجدل الفكري

يهدف الإعلام الإسلامي إلى حماية الثقافة وتنميتها واستثمارها وجعلها أساسا للتطبيق العلمي والتفاعل مع المجتمعات البشرية في مواجهة الغزو الفكري. والمهم أنْ تتحول هذه الثقافة من المعرفة النظرية إلى الفعل والسلوك العملي، ومن القيم المجردة إلى التخطيط الواقعي، ومن الأطروحات الأكاديمية الجافة إلى أرض الواقعِ العملي اليومي.

واذا كانت المساجدُ والأندية والمجالس ومنابر الخطابة وأسواقُ الأدب والمدارس والجامعات قد أدت دورها في حمايةِ الثقافة الإسلامية وتنميتها عبر الأجيال، فإنَّ وسائل الإعلام الحديثة تتحمل في هذا العصر مسولِيةَ انتشال جماهير المسلمين من وهدةِ الجهل لتسمو بها إلى أعلى مراتب العلم. وما من شَكٍّ أنَّ وسائل الإعلام تُتيحُ فرصاً كبيرةً لنشر الثقافة الإسلامية بين بني الإنسان، وتؤثر تأثيراً قوياً في المجتمعات.

وفي كُلِّ الأحوال ينبغي التأكيد علي وحدة العالم الإسلامى، ووحدة التفكير في توجُهاتِه، ووحدة عقيدته، ووحدة صبغته الربانية، والتأكيد علي معاني التنسيق والتكامل في الجهود الثقافية لتبدو صادرة عن روح واحدة ومنطلقة إلى هدف واحد. ويبرز الإعلام الإسلامي في مجالات التفكير والوجدان والسلوك العلمي والمقايسس الأخلاقية والآداب والتشريع الإلهي والفقه والاجتهاد.

إذن فالحرية الفردية أصلٌ مقرر يرتفع به الإنسان فوق الإكراه الداخلي عن طريق الشهوات والخارجي عن طريق الضغط والسيطرة. ولا يمكن أن تكون الحرية الاجتماعية بديلاً للحرية الفردية على نحو ما يدعي الماركسيون. فالحرية الاجتماعية في واقع الأمر ليست إلا مجموع حريات الأفراد.

ذلك لأن المجتمع الحر هو الذى يُفرزُ أفراداً أسوياء، والحرية لا تنبع إلا من الإيمان بعقيدة التوحيد. حيث إن الإدراك السليم يتحرر فيه الفرد من عبودية الشهوات والغرائز ويسمو بوجدانه إلى درجةٍ عليا من الإحساس بالقيم والأخلاق والجمال والتمازج والتكاتف مع الآخرين الخ..

ومما لا شك فيه أنَّ حرية التعبير هي مناط القيمة الحقيقية لقنوات الإعلام. والمادة الإعلامية مهما كانت لا تنمو في ظلِّ الكبت والرقابة الصارمة التي تفرضها بعضُ المؤسسات. لذلك تبقى حرية التعبير أكثرَ أهميةً في الأمور ذات الصلة بحياة الإنسان وفكره ومعتقداته. وهي تعني حق الفرد في اتخاذ الآراء التي يراها مناسبة دون تدخل من أحد كي يعبر عن رأيه بالأسلوب الذي يروق له.

ويشمل هذا الحق البحث عن المعلومة والفكرة بكل أشكالها ونقلها للآخرين دون قيود. وقد يكون ذلك شفاهةً أو كتابةً، سواءٌ في قالبٍ فني أو بأي أسلوبٍ يرتضيه الإنسان في حدود الأدبِ والأخلاقِ والقيم. ويمكن أن تتم قراءةُ مفهوم حرية الصحافة من زوايا مختلفة هي:

1/ الغياب النسبي للقيود والمعوقات التي تأتي من قِبَلِ الحكومات.

2/ الغياب النسبي لجميع أشكال القيود الأخرى غير التي تفرضها الحكومات.

3/ وجود هذه الظروف الضرورية واللازمة للتأكيد على نشر الأفكار المختلفة بشكل نسبي للجمهور.

4/ إيجاد مساحاتٍ واسعة للرأي الآخر الذي يقومُ على أساس البناء وليس الهدم.

5/ مراعاةُ أن عنصر الحرية لا يعني التفسخ والانعتاق من ضوابط الأخلاق.

أما حرية المناقشة Freedom of Discussion فهي تعني أن يعبر الإنسانُ عن آرائه الخاصه في أي أمر من الأمور أو أي قضية من القضايا بحيث لا يقتصر هذا الحق على فرد بعينه دون الآخرين. كذلك تعني سقوط العوائق التي تحول دون أن يعبر المرء بفطرته الطبيعية عن ذاته وعن مجتمعه تحقيقاً لخيره ولسعادته. والحرية عموماً تتطلب أن يكون المواطنون مستقلين عن الحكومة أو السلطة قدر المستطاع حتى يتمكنوا من التعبير دون خوفٍ أو وجلٍ أو نفاق.

وتأتي حرية النقد Freedom of Criticism **التي** تعرف بأنها إبداء رأي في أمر أو عمل دون المساس بشخص صاحب الأمر أو العمل بغية التشهير به أو الحط من كرامته لتضيف بُعداً آخر للحرية الاتصالية في الإسلام. حيث إن ما جرى عليه العرف الإسلامي أنَّ النقد إذا تجاوز حده وجب العقاب عليه باعتباره جريمة سب أو إهانة على حسب مقتضى الحال.

وبما أن الإعلام أصبح أحد أهم الأساليب التي تختلط في حياة البشرية جمعاء حيث قد فرض نفسه كصديق وكوسيلة للتعرف على كل ما حولنا فإن أمر النقد أصبح مألوفاً لاسيما بعد التطور الفقهي الذي جعل قنوات الاتصال قريبةً من المتلقي وميسورةً للجميع كإحدى الأساليب لتقويم اعوجاج المجتمع. وبذلك أصبح

النقد في حد ذاته غايةً حتى يتضح الغث من السمين في كل معطيات الإعلام من برامج تعليم أو ترفيه أو تنوير أو إعلان أو مواد للتواصل بين المجتمعات المختلفة. وقد قال البعض أن الناس في الزمان الماضي كانوا على دين ملوكهم ولكنهم اليوم أصبحوا على دين إعلامهم. وبالتالي برزت فكرة الحرية هنا أيضاً لتؤكد أن الإعلام الحر هو الذي يقدم للناس ما يحتاجونه بالفعل والعكسُ صحيح.

وقد كان لتطور أجهزة الحاسب الآلي لا سيما بعد بروز شبكة الإنترنت في مطلع الستينات في القرن العشرين دورٌ مهم في تطور الرسالة الإعلامية ووصولها بشكل أقرب إلى نفوس الناس مسنودةً بالصدق الذي هو صنو الحرية. وذلك من حيث طبيعة تناول المواضيع وطرحها بكل ثقة وإعطاء المعلومات الصحيحة دون تدليس أو نفاقٍ أو خوف من عين الرقيب الذي يحجر الرأي.

واكبَ هذا الأمر نقاء المادة المبثوثة على الأجهزة الالكترونية كالتلفزيون والراديو والتسجيلات المرئية والمسموعة التي تستخدم تطورت كثيراً بفضل ما حدث من تعديل الأساليب القديمة باستخدام الأسلوب الرقمي. حيث انعكس هذا حتى على الإعلام المقروء بدءاً بالمجلات ثم الكتب والصحف وبقية المطبوعات والملصقات.

لقد أصبحت هذه المواد أنيقة الملامح واضحة السمات بديعة الألوان ووافيةً بما تقدمه لزبائنها من القراء الذين ظلوا في ازديادٍ مطرد. وقد شجع كل هذا التطور الشكلي فضلاً عن عنصر الحريات المتاحة في تطوير المضمون الذي تحمله رسالة الإعلام. وإذا أضفنا إلى كل هذا الأساليب الحديثة التي أفرزتها شبكات الأقمار الصناعية التي غزت كل بقاع الأرضية نجد أن النتيجة أصبحت ما يلي:

1/ تقارب الشعوب فيما بينها.

2/ انتقال المعرفة المختلفة من جيل إلى جيل.

3/ انتقال الثقافات المختلفة من بلد إلى بلد.

4/ تطور الملكات الاستيعابية لدى معظم شعوب الأرض.

5/ التألف مع التقنية الحديثة وما أفرزته المدنية الحاضرة.

6/ بروز مفاهيم جديدة لدى الشعوب في مجال الاقتصاد والسياسة والتربية.

7/ هيمنة العطاء الرسالي على كثير من شعوب الأرض لا سيما في البلاد المحافظة التي تربت في كنف الفضيلة والدين.

8/ تطور مجالات الأدب، والدراما، والموسيقى، والغناء، والفنون التشكيلية.

المراجع:

- القرآن الكريم
- كتب الصحاح للحديث النبوي الشريف
- أحمد المزعنن، (1410هـ)، مصادر الأخبار في العهد المدني، دار صبري، الرياض.
- السيد أحمد الهاشمي، (1989م)، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، بيروت.
- الزوزني، (1972م)، شرح المعلقات السبع، مكتبة المعارف، بيروت.

- الجاحظ، 33/2، البيان والتبيين، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- الطبري 6/ 3 ، في تاريخ الأدب العربي، لشوقي ضيف، العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة. - أنيس المقدسي، (1980م)، الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، مكتبة الجيل، بيروت.
- زكريا عبد الرحمن صيام، (1983م)، الأدب العربي في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، دار النصر للطباعة الإسلامية.
- زين العابدين حاج عبد القادر، (1979م)، مذكرة في تاريخ الأدب العربي (القسم التوجيهي)، وزارة التربية، كوالا لمبور.
- عبد الله عبد الجبار، ومحمد عبد المنعم خفاجي، (1987م)، قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
- شوقي ضيف، (1963م)، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة.
- شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، القاهرة.
- صلاح الصفدي، (1953م)، معجم الأدباء والوافي بالوفيات، تحقيق مرجليوث، الجزء السادس، المطبعة الهاشمية، دمشق.
- محمد بن عبد الوهاب، (1956م)، مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- محمد إبراهيم محمد إبراهيم، (1406هـ)، الجانب الإعلامي في خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، المكتب الإسلامي ومكتبة شركة الخاني، الرياض.

- محمد أبو زهرة، (1934م)، الخطابة أصولها، تاريخها في أزهر عصورها، دار الفكر العربي، القاهرة.
- محمود محمد قلندر، (1999م)، الاتصال الجماهيري، النظريات والوسائل والنماذج، دار يونيفيزيون للطباعة والنشر، كوالا لمبور.
- منا الفاخوري، (1985م)، الموجز في الأدب العربي وتاريخه والأدب العربي القديم، دار الجيل، بيروت.

* * *



المؤلف في سطور:

- الاسم: عوض إبراهيم عوض محمد
- سوداني، ولد بمدينة النهود، السودان
- متزوج، وأب لأربعة أولاد وبنت واحدة.
- يتحدث العربية+ الإنجليزية+ الملايوية
- مذيع، ومعد برامج، ومحرر، ومخرج.
- كاتب صحفي، وشاعر، ومؤلف، ومترجم، ومدرب.
- نال دراساته العليا والتخصصية بماليزيا، والولايات المتحدة، والسودان.
- بروفيسور بكلية الإعلام، جامعة إفريقيا العالمية بالخرطوم، السودان.
- عميد كلية الإعلام بجامعة الوسيلة للعلوم والتكنولوجيا.
- مدير قناة الأمل التلفزيونية الفضائية.
- سفير النوايا الحسنة لمكافحة الدرن بالسودان لدى منظمة الصحة العالمية.
- عضو هيئة المستشارين لمجلس الوزراء ووزيري الإعلام والتجارة الخارجية.
- عضو دائرة علوم الاتصال بمعهد إمام جامعة الجزيرة.
- عضو مجلس الأمناء لجامعة غرب كردفان، وعشر منظمات إنسانية.
- عضو جائزة الشيخ البرعي برئاسة الجمهورية.
- نال درجة الأستاذ المتخصص في علوم الاتصال من جامعة أوهايو بالولايات المتحدة.
- نال درجة الدكتوراه الأولى في وسائل الاتصال واللغويات من جامعة الملايو بكوالالمبور.
- نال الدكتوراه الثانية في الإعلام، من جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بأم درمان.
- نال درجة الدكتوراه الثالثة في العلوم السياسة من جامعة الزعيم الأزهري.